رواية

مكتبة

شَهْرنُوش بارسِيْبُور

نساء بلا رجال

ترجمة: عبدالكريم بدرخان

صفحة 7

A Woman Is No Man

شَهْرْنُوش بارسِيْبُور

نساء بلا رجال

(رواية)

ترجمة: عبد الكريم بدرخان

تقديم: شيرين نِشَاط

صفحة



رواية

نساء بلا رجال

المؤلف

نَهرنُوش بارسِيبُور

الطبعة

الأولى : 2019

الترقيم الدولي :

978-977-499-621-6

E-mail: admin @page-7.com

Website: www.page-7.com

Tel.: (00966)583210696

العنوان : الجبيل ، شارع مشهور

المملكة العربية السعودية

A Woman Is No Man

شَهْرْنُوش بارسِيْبُور

المقدّمة

بقلم: شيرين نِشَاط [1]

عرّفَ غابرييل غارثيا ماركيز الواقعيّةَ السحريّة ذات مرةٍ؛ بأنّها الطريقةُ التي كانت جدّته تروي فيها الحكايات له، فحتى عندما لا يكون شيءٌ منها يبدو معقولاً، كان يُصدّق كلّ كلمةٍ تقولُها. أولاً لأنها جدّته، وثانياً لأنّها تروي الحكاية بطريقةٍ شديدة الإقناع تجعلُه لا يجرؤ على سؤالها عن حقيقتها. في «نساء بلا رجال» تصبح شَـهْـرْنُـوش بارسِـيْـبُـور شيخَ هذه الطريقة، فهي تخلقُ كوناً خاصّاً بها، يخضع لقواعده الخاصة به. إنها تجعلك تصدّق ما لا يُصدّق بسهولةٍ وفطنةٍ وعظمة، بحيث أنك لا تجرؤ على أنْ تشكّك فيما تقول. فهي -مثلاً- تحرّرُ امرأةً ميّتةً وتُعيدها إلى الحياة مجدداً، وتزرعُ امرأةً أُخرى لتنمو

1. شيرين نِشَاط :(Shirin Neshat) مصوّرة ومخرجة سينمائية وكاتبة سيناريو، وناشطة سياسيّة ونسْوية. ولدت في محافظة قزوين في إيران عام 1957، ثم غادرت إيران متجهةً إلى الولايات المتحدة عام 1975 لدراسة الفنون الجميلة في "جامعة كاليفورنيا- بيركلي"، وبعدها انتقلت للعمل في مدينة نيويورك التي ما زالت تعيش فيها إلى اليوم. من أشهر أفلامها: "منطق الطير" (2002)، "نساء بلا رجال" (2009)، "أوهام ومرايا" (2013)، و"البحث عن أم كلثوم" (2017). نالت نِشَاط العديد من الجوائز السينمائية والثقافية، منها: الجائزة الدولية الأولى في مهرجان البندقية (1999)، جائزة الفنون البصرية في مهرجان أدنبره السينمائي الدولي (2000)، جائزة هيروشيما للحرية (2005)، جائزة سينما السلام في ألمانيا (2009). كتبتْ شيرين نِشاط وأصدرتْ عدة كتب/رواياتٍ عن سيرتها الذاتية، منها "نساءُ الله" (1997)، "شيرين نشاط" (1998)، و "أعرفُ شيئاً عن الحبّ" (2011). [المترجم]

وتصبح شجرة. الرجالُ المرتادون لبيتِ الدعارة يصبحون فجأةً دون رؤوس، وهنالك امرأةٌ تلدُ زهرةً وتطيرُ معها نحو السماوات.

من الصعب أن أُلخّص رحلتي الشخصيّة، أعني السنوات الستّ التي قضيتُها في عملية تبنّي هذه الرواية الفاتنة والعظيمة وتحويلها إلى فيلم سينمائيّ طويل. أصبحت هذه التجربة المُفرحة والمؤلمة في الوقت ذاته؛ مدخلي إلى مخيّلة شَهْرْنُوش الجامحة، وكنتُ منذ البداية منجذبةً إلى الرواية بسبب قوّتها التصويرية والمجازية والباطنيّة. وعلى خلاف الأدب الإيراني المعاصر، فإن أسلوب شَهْرْنُوش الكتابيّ يحقق نجاحاً وأهميّةً عالميّين، بالرغم من أنها ظلَّتْ مُخلصةً كلّياً -وعلى نحو أصيل- لسياقها الثقافي المحلّي.

من حيث المضمون، وجدتُ أنّ «نساء بلا رجال» هي -في صميمها- حكايةٌ مُفارقة ومُحكمة تجمعُ تشكيلةً من التصوَّرات والأفكار المتضادّة: التخييل/ الواقعيّة، الفطرة/ الثقافة، المحليّة/ العالمية، النساء/ الرجال، التصوُّف/ السياسة. تضعُ شهرنوش مدينة طهران كنقطةِ انطلاقٍ إلى الحقائق السياسية والاجتماعية والتاريخية والثقافية كلّها، بينما يؤدّي البستانُ دوراً واضحاً على المستوى المجازي، إذ هو لا يختلفُ كثيراً عن جنّة عدن، ليصبح هذا البستانُ بمثابةِ جزيرةٍ يوتوبيّة أو منفىً تتّخذه النسوةُ ملاذاً لهنَّ، طالما أنهنَّ يحترمنَ قواعده. عندما تأخذنا الكاتبة إلى مدينة طهران، نكون مدركين تماماً لأبعاد الزمان والمكان، فنتوغّلُ ونتعمّق في الأزمة السياسيّة العامّة والثقافية الخاصّة لهذا البلد. لكن عندما تنتقل بنا إلى البستان، فإننا نهجرُ منطقَ الزمان والمكان كلياً، لنواجه الأزمةَ

الشخصيّة والوجودية لمجموعةٍ من النساء.

كان تبنّي «نساء بلا رجال» وتحويلها إلى فيلم سينمائيّ، مع الموازنة بين الجانب المجازيّ والأغراض السياسية الاجتماعيّة للحكاية؛ عمليّةً معقّدة وطويلة جداً. كنّا -أنا و «شجى آزاري»[2] ومع استشارة شَهْرْنُوش نفسِها- نناقشُ ونحلّلُ شخصيات الرواية، مقاصدَها الرمزيّة، وحبكاتها السردية إلى ما لا نهاية، مع اقتراح الطريقة المُثلى لترجمتها إلى فيلم. واجهنا الكثيرَ من العوائق، بما فيها حقيقةُ أن الواقعية السحرية بطبيعتها -وكما هو معلومٌ للجميع- من الصعب أن تتحوّل إلى فيلم سينمائي. من بين العقبات الأخرى التي واجهتنا، كانت الكيفيّة التي ينبغي لنا أنْ نطوّر بها القصصَ الخمسَ للشخصيّات الخمس الرئيسة، مع إعطائها الأهمية المتساوية ضمنَ الحكاية الواحدة. إذ أنّ كلَّ واحدة من البطلات فريدةٌ ومتميزة من حيث خلّفيتها الاقتصادية والاجتماعية، وهي تظهرُ وتُبرِزُ معالِمَ شخصيّتها من خلال مأزقٍ أخلاقي وعاطفي مختلفٍ ومتفرّد. أما التحدّي الأصعب فكان أنّ بعض الشخصيات واقعية تماماً، بينما بعضها الآخر مجازيٌّ بشكل كبير. وهكذا اضطُررنا أن نتّخذُ قراراتٍ صعبة أثناء العمل، مثل إقصاء واحدةٍ من الشخصيات (مَهْدَخْت)، وهي أكثر البطلات مجازيّةً وتخييلاً من بين سائر النسوة. (في عام 2003 صنعتُ فيلماً خاصّاً عن مهدخت). كما أعطينا لأنفسنا مزيداً من الحرية، وقُمنا بإطالة الجانبين السياسي والتاريخي للحكاية،

---

(2) . شجى آزاري (Shoja Azari): كاتب ومخرج سينمائي إيراني مقيم في الولايات المتحدة، كان شريكاً لشيرين نشاط في إعداد معظم أفلامها وإخراجها، ومنها "نساء بلا رجال". [المترجم].

وركَّزنا بالأخصّ على الانقلاب العسكري الـمُدبَّر من قبل الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) عام 1953، والذي يقبَعُ خلف أحداث الرواية.

لكن الصعوبات لم تتوقّف هنا، إذ أنّ رواية «نساء بلا رجال» ممنوعة في إيران، وشَهْرْنُوش نفسُها تعيش في المنفى، ولذلك كان علينا أن ننسى فكرة تصوير الفيلم في بلدنا الأم. وهكذا أخذنا على عاتقنا تحدّياً آخر، وهو أن نُعيدَ خلْقَ مدينتي طهران وكَرَج في مدينة الدار البيضاء في المغرب، حيث بذلَ فريقنا الرائع جهداً حثيثاً لوضع صُوَر شَهْرْنُوش المتخيّلة على سكّة الحياة، وبشكلٍ فنيّ جميلٍ مماثلٍ للحياة في إيران. وفي النهاية صار فيلم «نساء بلا رجال» نتاجاً لجُهُودٍ دولية مشتركة، فالإنتاج فرنسيّ وألماني-نمساوي، والإخراج إيراني، أما التصوير فقد جرى في المغرب.

الأكثر أهمية من كل ذلك، هو أن هذه الرحلة الجميلة وَهَبْتني نعمةَ الصداقة العميقة مع شَهْرْنُوش بارسِيبُور. فخلال السنوات الست التي عملنا فيها على هذا الفيلم، كنتُ أسألُ نفسي -طُولَ الوقت- عن الدافع وراءَ صناعة فيلم «نساء بلا رجال»: هل كان عشقي لهذه الرواية؟ أم لـ شَهْرْنُوش نفسِها؟ لطالما كنتُ أستلهمُ أفكاري من الكاتبات الإيرانيات، ولطالما حوّلتُ كتاباتهنّ إلى صورٍ متحركة. لكن القدَرَ الذي جمعني مع شَهْرْنُوش قد لامسَني من الأعماق، ليس بصفتي فنانة فحسب، بل على المستوى الشخصيّ كذلك.

كلّما عرفتُ أمراً جديداً عنها؛ ازدادَ تبجيلي لها ولشجاعتها وقوّتها، ولقدرتها على تحمُّل القسوة التي فرضتْها الحياةُ عليها. كانت شَهْرْنُوش -وبكلّ ما يُتاحُ من وسائل- تجسِّدُ عذابَ شخصياتها وآلامهنَّ من جهة، وإرادتهنَّ القوية لتجاوز هذه المعاناة والتسامي عليها من الجهة الأخرى. مع «نساء بلا رجال» تؤكّد شَهْرْنُوش مجدّداً على تلك الحقيقة البسيطة،

وهي أنّ الضعفَ والقوّة يعيشان جنباً إلى جنب، وأنّ هذه الصفاتِ مُتقلّبةٌ كثيراً، وثمينةٌ جداً، وأنثويّةٌ دائماً وأبداً.

مَـهْـدَخْت

كانَ الحقلُ أخضرَ مرتعشَ الاخضرار ومُسوّراً بجدرانٍ من اللِّبْن، يسندُ ظهرهُ إلى القريةِ من جهة، ويتاخمُ النهرَ من الجهةِ الأخرى. كان حقلاً -في معظمه- من الكرز الحلو والكرز الحامض، تقعُ في منتصفه الفيلّا، وهي مزيجٌ من العمارةِ المدينيّة والريفيّة. كان للفيلا ثلاثُ غرفٍ تطلُّ على بركة ماءٍ تتوسّطُ بين الغرف، وكانت البركةُ شفيفةً وعاكسةً للضوء، فهي الآن متلوّنة بالأخضر بسبب الطحالب والضفادع. ثمّة ممرٌّ مفروشٌ بالحصى يدورُ حول البركة، ويحيطُ به صفٌّ من شجر الصفصاف. بعد الظهيرة، يتنافس أخضرُ الأشجار الفاتح مع أخضر البركة الغامق بصمت، ويدخلان معاً في صراعٍ يُزعج مَهْدَخْت[3] التي لم تعد تحتملْ أيّ نوع من النزاعات، وتحلم بالتناغم الكونيّ الشامل - هكذا ببساطةٍ - حتى ما بين الأفياء الخضراء كلّها في هذا العالم.

-إنّهُ لونٌ مريح... لكن...

كان هنالك هيكلُ سريرٍ تحت واحدةٍ من أشجار الصفصاف،

(3). مَاهْ دَخْتْ: ويعني اسمها: ابنة القمر. [المترجم]

وكانت اثنتان من قوائمه عند حافة البركة، فمن الممكن في أي لحظة أن تنزلقا معاً على الحافة اللزجة، وتسحبا السّرير معهما إلى تحت الماء. بعد الظهر، اعتادتْ مَهْدَخْت أنْ تلقي بنفسها فوق هذا السّرير وتتأمل. لم يكن التنافس بين خضرة الأشجار وخضرة البركة ما يشغل بالها فحسب، بل كيف تفرضُ زرقةُ السماء نفسَها -وكأنها حُكْمُ محكمةٍ إلهيّة- على خُضرةِ الحقل بأكمله.

كان ذلك في أشهر الشتاء، عندما فكّرتْ مهدخت بالانخراط في مشاريع لحياكة الصّوف، أو أنْ تأخذ دروساً في اللغة الفرنسية، أو أنْ تذهبَ في رحلةٍ سياحيّةٍ حول العالم، فقد كان هواءُ الشتاء نقيّاً وقابلاً للتنفّس. أما في الصيف فعلى العكس من ذلك، يكون الهواء مُحمّلاً بالغبار والدخان والـمُلوِّثات المنبعثة من السيّارات والنّاس، وتغمرك الكآبة والإحباط بسبب زجاج النّوافذ الكبيرة الذي لا يقدر على حمايتك من حرارة الشّمس.

-اللّعنة! لماذا لا يفهم هؤلاء النّاس بأنَّ هذي النّوافذ لا تنفعُ في هذا المناخ؟

أفكارٌ كهذي.. استجلبتْ موجةً من الحزن، جعلتْها خائرة القوى، وميّالةً إلى أنْ تقبل دعوة أخيها الأكبر هوشَنْك خان، وتلتحقَ بالعائلة إلى الحقل. هناك حيث يجب عليها أن تحتمل الأطفال الذين يصرخون طُولَ الوقت وهم يلتهمون الكرز حتى التخمة، إلى أن يُصابوا بالإسهال، فيتناولون بعضَ اللّبَن في اللّيل وكأنّه ترياق.

-هذا اللّبن من القرية.

سوف يقول أخوها كدلالةٍ على جودة النوعيّة.

-إنه رائع.

ستوافقه في الرأي.

كان الأطفال باردي الملْمَس وشاحبي الوجوه، على الرّغم من أنّهم يتناولون من الطعام أكثر من اللازم بالنّسبة إلى أعمارهم، وبعد حين يتقيّؤونه. هكذا قالت أمُّهم.

في الماضي، عندما كانت معلّمة، كان السيد احتشامي يقول لها:

-آنسة برهامي، املئي هذا الطلب لو سمحتِ... آنسة برهامي، اقرعي الجرس... تكلّمي مع المستخدَم، ذاك الذي لا أفهم لغتهُ...

كمديرٍ للمدرسة، بدا السيد احتشامي مسروراً بوجودها إلى جانبه بصفتها معاونة المدير، ولم تكن هي مستاءةً من مهامها أيضاً. لكنّه ذات يوم أدار وجهه إليها وقال :

-آنسة برهامي، هل تذهبين معي إلى السينما هذا المساء؟ ثمّة فيلمٌ جميل.

امتُقِعَ لونُها، وما عادتْ تعرف كيف تتعامل مع هذه الصفاقة. ما الذي يفكّر به هذا الرجل الصغير؟ أيَّ نوعٍ من النّساء يحسبُها؟ ما هي غايته؟!

الآن قد فهِمَتْ لماذا كانت المعلّماتُ الأخرياتُ يكبحنَ ابتساماتهنَّ، ويقبِضْنَ على شفاههنَّ، في كل مرّة كان السيّد احتشامي

يكلّمها فيها. لا بدَّ أنهنَّ قد أحسَسْن بشيءٍ ما، والآن سوف تجعلُهنَّ يَرَينَ حقيقةَ مَنْ تكون!

تركت مهدخت العمل دون إخطار. رغم ذلك، عندما سمعتْ بعد سنة أنَّ السيّد احتشامي قد تزوّج من الآنسة عطاء، معلّمة التاريخ والجغرافيا، أحسَّتْ بضيقٍ في صدرها، وكاد قلبُها أن ينفجر وينقذف إلى الخارج.

-مشكلتي هي أنّ الوالد قد ترك كثيراً من المال خلفه.

كانت تلك هي القضية. في الشتاء التالي، حاكتْ ملابس صوفيّةً لطفلَيّ هوشَنْك خان. وبعد عشر سنوات، صارت تحوكُ الصوف لخمسةٍ من أطفاله .

-أتساءلُ لماذا ينجب الناسُ العديد من الأطفال؟

-ليس الأمرُ بيَدي، أحبُّ الأطفال.

أجاب هوشنك .

حقاً؟ ماذا بوسعه أنْ يفعل؟ ليس الأمر بيَده، فكّرَت مهدخت. كانت قد شاهدتْ مؤخراً فيلماً لـ جولي أندروز، وفيه ترتبط الشخصية التي أدّتها جولي برجُلٍ نمساويّ، ضابطٍ في البحريّة، وأبٍ لسبعة أطفال. وقد كان يدير البيتَ بحزمٍ، ويُملي أوامِرَهُ عليهم بالصفّارة. كانت جولي تودُّ في البداية أن تدخل دير الراهبات، ثم حسَبَتِ الأمر بشكلٍ أفضلَ وتزوّجت من النمساويّ، وذلك عندما كانت تنتظر منهُ ابنَهُ الثامن، وبالأخصّ أثناء زحفِ النازيين في اتّجاه

النمسا، وتزايُد الشكوك وتعاظُم المجاهيل.

-إنني رقيقةُ القلب مثل جولي في ذلك الفيلم.[4]

كانت على حقّ، فهي لم تكن تؤذي ذبابة. بالإضافة إلى أنها قد أطعمتْ أربعة كلابٍ جائعة في الشارع، ووهَبَتْ معطفها الجديد لمستخدَم المدرسة. حينما كانت معلّمة، وامتثالاً لبرنامج المراكز العامة، زارتْ مَهْدَخْت الميتمَ ثلاثَ مرات، وفي كلّ مرةٍ كانت تحملُ معها بضعة كيلو غرامات من الحلويّات للأطفال.

-يا لَهُم من أطفالٍ طيّبين!

لم تكن لتمانعَ لو كان واحدٌ منهم لها، فقد كانوا حريصينَ دوماً على أن تكون ملابسهم نظيفة، وألّا يسيلَ شيءٌ من أنوفهم إلى أسفل وجوههم. كما أنّهم يستعملون الكلمة اللائقة للإشارة إلى الحمّام.

-أتساءلُ ماذا حلَّ بهم؟

كان السؤال قاسياً، وخصوصاً بعدما أذاعَ الراديو الحكوميُّ تقاريرَ عن الحاجة إلى فعلِ أيّ شيءٍ من أجلهم. كانت كلٌّ من مهدخت والدولةُ قلقَيْن على الأيتام. ماذا لو كان لديها ألفُ يدٍ... بحيثُ تحوكُ بها خمسمائة كنزة صوفيّة في الأسبوع؟!

-كلُّ يَدَيْنِ تحوكان كنزةً. إذاً، ألفُ يَدٍ سوفَ تعادلُ خمسمائة كنزة.

---

(4). تقصد فيلم "صوت الموسيقى" (The Sound of Music) من بطولة جولي أندروز وكريستوفر بلامر، ومن إنتاج روبرت وايز وإخراجه. [م]

كانت تجري حساباتها. لكنْ ليس بإمكان المرء أنْ يكون لهُ ألفُ يدٍ، وخصوصاً مهدخت التي تعشق الشتاء وتخرجُ في نزهةٍ بعد الظهيرة في كلّ يوم من أيام هذا الفصل. إذ سوف تلزمُها خمسُ ساعاتٍ تقريباً، لكي ترتدي ألفَ قفّازٍ على أيديها الألف. فكّرت في الأمر:

-لا، بالخمسمائة يَدٍ الأولى سوف أُلبسُ القفّازاتِ للخمسمائة يدٍ الثانية، ومن ثمَّ أُكرّرُ العمليّة ذاتها. ثلاثُ دقائقَ أو أقلّ، هذا كلُّ ما في الأمر.

لم تكن تلك هي المشكلة الحقيقيّة، فمِن واجب الحكومة أنْ تُنشئ مصنعاً لإنتاج الكميّة اللازمة من الكنزات. غمَسَتْ مهدخت أصابعَ قدميها في ماء البركة.

في اليوم الأوّل من زيارتها هذه، خوّضَتْ مَهْدَخْت في النّهر قليلاً، وكانت المياهُ باردةً إلى درجة التجمُّد، ما جعلَ عضلاتها تتألّم، فانسحبتْ على الفور خوفاً من أن تُصابَ بنزلةِ بردٍ. ارتدَتْ جوربيها وحذاءها ومشَتْ في اتجاه بيت المزروعات الزجاجيّ. كان الباب مفتوحاً، فاستقبلتْها موجةٌ من الهواء الرطب الحارّ.

سبقَ للسيّد احتشامي أنْ قال قبل سنواتٍ عديدةٍ؛ إنّ تنفُّسَ هواء البيوت الزجاجيّة صحّيٌّ ومفيد، بما أنَّ النبات يولّدُ الأوكسجين أثناء النهار. لكنْ في ذلك اليوم، لم تكن ثمّة نباتاتٌ في البيت الزجاجيّ، إذ نُقِلَتْ كلُّها إلى الحقل وزُرِعَت في أحواض الورد. سارتْ مهدخت في الممشى الضيّق محدّقةً في ألواح الزجاج

الـمُـتّسخة التي تشكّل البيت الزجاجي. فجأةً سمِعَتْ تنفُّساً ثقيلاً وعنيفاً، لقد كان لُهاثاً حارّاً ومحموماً ولافحاً، ثمّ اشتمّتْ رائحة جَسَد .

توقّفَ قلبُها لحظةً. كانت تلك هي الخادمةُ فاطي[5] ذاتُ الخمسة عشر ربيعاً - لكنّها الآن أشبَهُ بعاهرات الشوارع- مُستلقيةً في آخر البيت الزجاجيّ مع يَدُ الله، البستانيّ الأصلع، ذي العينين القبيحتين الـمُحاطتين بالاحمرار، وهو يلهثُ ويلهثُ ويلهث .

كانت مهدخت على وشك الانهيار، فاستندتْ على أحد الرفوف لتتمالَكَ نفسَها، لم تكن تستطيعُ أنْ ترفع عينيها عن المشهد. كان الرجلُ أوّلَ مَنْ لاحظَ وجودها، فأطلقَ صرخةً وحاولَ أنْ يُخلِّصَ نفسَهُ من العناق مع الفتاة، بعدَما لَطَمَها على وجهها بإحدى يديه، ثمَّ مدَّ اليدَ الثانيةَ إلى مهدخت التي هربتْ مُسرعةً من البيت الزجاجيّ، وراحت تجوبُ حائرةً في السّاحة، مُفعمةً بالغثيانِ مِمَّا رأتْ. أسرعَت إلى البركة وغسلَت يديها بالماء، غسلتْهما وكأنَّ ذلك فرضٌ عليها. ثمَّ جلسَت على حافّةِ هيكل السّرير.

-ماذا سوف أفعل؟

فكّرَت في أن تنقلَ الحادثةَ بأكملها إلى هوشنك خان وزوجته، فالبنتُ في نهاية الأمر تحت وصايتهما .

-إنّها في الخامسة عشرة من عمرها فقط... يا لهُ من سلوكٍ

---

(5). فاطي: مخفف من فاطمة. [م]

مُشين!

سوفَ يضربُها هوشنك خان ضرباً مبرّحاً، قبلَ أن يُرجعها إلى عائلتها. وعلى الأغلب، فإنَّ إخوتها سوفَ يقتلونها.

-ماذا سوفَ أفعل؟

ربّما من الأفضل أن تحزِمَ حقائبها وتعودَ إلى طهران، تاركةً هذه الورطة المُفجِعة خلفها.

-ثمَّ ماذا؟

مَشَت في اتّجاه البيت الزجاجيّ بخطًا متردّدة، رأت الفتاةَ هناك وهي ترتدي الشَّادُوْر(6) بالمقلوب. اندفعتِ الفتاةُ نحوها بوجهٍ مُحمَرٍّ ومخدوشٍ بالأظافر.

-سيدتي العزيزة!

ناحَت وهي تنزلُ إلى الأرض وتحضن قدميّ مهدخت.

هذه الفتاةُ تئنُّ مثل الكلب، فكّرَت مهدخت في سرّها. ثم زجَرَتْـها بعنف:

-ابتعدي عنّي أيّتها القذرة!

-لا... أرجوك يا سيدتي! سوفَ أفعلُ أيَّ شيءٍ تريدين.

-اخرَسي! ودعيني أمُرّ.

---

(6). الشَّادُوْر (Chador): هو جلباب تلبسه النساء في إيران، يُغطّي الرأس والجسد، فضفاض وأسود اللون في الغالب. [م]

-أُقسِمُ... سأصيرُ عبدةً لكِ طُولَ عمري. سوفَ أُقتَلُ حتماً إذا أخبرتِ أمّي.

-مَن قالَ إنني سوف أُخبرُها؟

-أُقسِمُ بالله إنه يريدُ أنْ يتزوّجني، وكان يريدُ أن يَرَى السيّدَ لكي يطلُبَني منه.

مُكرَهةً عَلَى مَضَض، وعدَتْ مهدخت بألّا تُخبِرَ أحداً، فقط لكي تتخلَّصَ من البنت. أحسَّتْ بأنَّ ملمَس الفتاة المُعانقة لركبتيها قد أجبَرَها على ذلك. نهضتْ فاطي على قدميها، وترنّحتْ يميناً وشمالاً وهي تخبُّ في اتّجاه المبنى. أخذَتْ مهدخت نفسَاً عميقاً، كظَمَتْ به حاجتها الـمُلِحّة إلى البكاء.

مضَتْ ثلاثةُ أشهرٍ على ذلك، وباتَ الصيفُ في آخره. كانت العائلةُ قد أتمَّتْ استعداداتها للعودة إلى المدينة في ذلك اليوم، بينمت كان الجميعُ مُتفاجئاً بمغادرة البستانيّ يَدُ الله الطارئة والسريّة. قال هوشنك خان:

-هذا غريب! لقد أخبرَني مائة مرةٍ بأنّه لن يتركَ العمل عندي .

صارَ عليه الآنَ أنْ يُوظّف شخصاً آخرَ للاعتناء بالحقل وحمايته من أضرار الشتاء.

-أيُّ شخصٍ يستطيعُ أن يضعَ أربعة مقاعد كحدٍّ أقصى على

حافّة النهر، ويؤجّرها لزوّار يوم الجمعة مقابلَ ثلاثينَ توماناً.[7]

كان هوشنك خان يشرحُ لجماعة من القرويّين، بينما كانوا يُصغون إليه باحترامٍ وامتِثَال. في تلك الأثناء سمعتْ مهدخت تلكَ الفتاة تضحكُ من قلبها، إذ كانت مع الأولاد في جولةٍ في الحقل، وتساءلت:

-اللهُ أعلم أيّ نوع من الألعاب تعلّمهم!

انصرفتْ غاضبةً إلى غرفتها، وراحت تلكُم الجدارَ في يأسٍ. فقد كانت خائفةً على الأطفال:

-أتمنّى لو أنّها حَبِلَتْ، لكانوا قتلُوها وانتهى الأمر.

كان من الأفضل لو حمَلَت الفتاةُ، فيجتمع إخوتها حولها ويضربونها حتى الموت، لكان ذلك خيراً وأحسَنَ من أنْ تحرِفَ الأطفالَ وتُفسِدَهم .

فجأةً، ودون توقُّعٍ أو حُسبان، خطرَت فكرةٌ في بالِ مهدخت :

-عُذْريَّـتـي أشبَهُ بشَجَرة!

أحسَّتْ بقوّةٍ خفيّةٍ تُجبرها على النظر إلى وجهها المنعكس في المرآة:

-ربّما لهذا أنا خضراء !

كانت بشرتُها زيتونيّة اللون، مع مسحةِ شحوبٍ طفيفة. ثمّةَ

(7) . التومان (Toman): هي العملة الإيرانية القديمة، إذ استُبدلَ الريالُ بها منذ عام 1932. لكنّ الإيرانيين ما زالوا يستخدمون مفردة "تومان" في معاملاتهم، ويقصدون بها عشرة ريالات. [م]

تجاعيدُ تحت عينيها، وشريانٌ مرتسمٌ بوضوحٍ على جبينها.

-أنتِ باردةٌ جداً... باردةٌ كالجليد...

هكذا قال لها السيّد احتشامي ذات يوم. لكنها فكّرت الآن:

-ليس كالجليد، بل أنا شجرة!

كان بإمكانها أنْ تزرعَ نفسها في الأرض.

-أنا لستُ ثمرةَ بلّوط، بل شجرة. ينبغي أنْ أزرعَ نفسي.

لم يكن من الممكن أبداً أنْ تتحدّث مع هوشنك خان بهذه الطريقة، أنْ تدعوه إلى جلسة مصارحة، أنْ تخبرَهُ بأنّ المصانع هي التي صارتْ تنتجُ كنزات الصوف. إذا ذكرَتِ الكنزات في سياق الكلام، لصارَ عليها أنْ تخبرهُ عن الأيادي الألف، وهو لن يفهمَ ذلك. كيف لها أن تخبرهُ -مثلاً- أنّه بوجود المصانع التي تنتجُ آلاف الكنزات، لن تكون هنالك حاجةٌ إليها، حاجةٌ لأنْ تتدرّبَ وتشتغلَ كحائكةِ صوف؟

في الحقيقة لم يكن لديها خيارٌ آخر. فكّرتْ في أنْ تتخلّف عنهم، وتزرعَ نفسَها عندما يحلُّ الشتاء. كان من الأجدى لها أنْ تسأل خُبراء الزراعة عن الوقت الأنسَبِ لغَرْسِ الشتلات، فهي حقاً لا تعرف ذلك. على كل حال، لن يؤثّر الأمرُ كثيراً، لأنها ستبقى هنا وتزرع نفسها، ومن الشتلة سوف تنمو لتصبح شجرة. لقد أرادتْ أنْ تُزرَع قرب النهر، وأن تُنبِتَ أوراقاً خضراءَ لونُها أغمقُ من لون الطحلب، تتحدّى بها -جدّياً- ماءَ البركة. كشجرةٍ، سوفَ تنمو بسرعة، وتمدُّ

أغصانَها في أرجاء الحقل كلّها حتّى تغطّيه بسقفٍ سميك، وهكذا يُضْطَرّون إلى قطع أشجار الكرز كلّها من أجل شجرة مهدخت. وقريباً سوف تمتدّ في أرجاء القارّة كلّها، ولسوف يشتري الأمريكيُّون فُرُوعاً منها لكي يزرعوها في كاليفورنيا، وفي المناطق المناخية الأكثر برودةً، لكنهم سوف يُخطئون في اللفظ ويقولون «مادوكت». فيما بعد، ونتيجةً للاستخدام واسع الانتشار في اللغات الأخرى، سوف يتحرّفُ الاسمُ إلى «ميدوك» أو «مادوك». وبعد قرونٍ من الآن سوف يُحاججُ علماءُ الإتيميلوجيا [8] بحماسٍ، ويقولون إنّ كِلَا الـمُفردتين تعودان إلى جذرٍ واحدٍ هو «ماديك»، وأنّ أصل الشجرة من إفريقيا. لكنّ علماء النبات في المقابل، سوف يعترضون على ذلك، ويُوضّحون أنّ شجرة المناخات الباردة لا يُمكن أنْ تنمو في إفريقيا.

راحتْ مهدختُ تضربُ رأسَها بالجدار بقوّة، إلى أنْ سقطتْ أرضاً وشرَعتْ بالبكاء. وبينما كانت تشهقُ بعنفٍ، فكّرَتْ في أنْ تذهب في رحلةٍ إلى إفريقيا، فقد أرادتْ أنْ تصيرَ شجرةً استوائيّة. كان ذلك ما تمنّتْهُ من كلّ قلبها. إنّها رغبةُ القلب دوماً.. ما تدفعُ الإنسانَ إلى الجنون.

---

(8). الإتيمولوجيا (Etymolgy): علم أصول الكلمات، يبحث في تطوُّر الكلمة واختلاف معانيها واستخداماتها عبر الأزمنة. [م]

فايزة

بعدَ بضعة أيّامٍ من الارتياب والتردُّد، حسمَتْ فايزة أمرَها في الساعة الرابعة من بعد ظهر الخامس من آب عام 1953. ما عاد الصمتُ ممكناً، إذا انتظرتْ أكثرَ فكلُّ شيءٍ سوفَ ينهار، فكان من الأفضلِ لها أنْ تنهضَ على قدميها وتأخذَ بزِمامَ المبادرة. مع ذلك، وبالرغم من أنّها قد شعرَتْ بأنّها مندوبةٌ لهذا القرار، استغرقتْ قُرابةَ ساعةٍ حتى ارتدَتْ ملابسها. لبسَتْ - ببطءٍ وتَرَوٍّ- جورَبَيها والبلوزةَ وتنورةً قطنيّةً خفيفة، وأثناء ذلك كانت تتوقّفُ وتفكّر: ماذا لو كانَ أمير خان هناك؟

فكّرت في ذلك؛ فتدفّقتْ موجةٌ من الحرارة في أوصالِها. في حضوره، لن تكونَ قادرةً على قول ما تريد، بل على قولِ أيَّ شيء، إذ هي تتجمّدُ في مكانها وتُعَدِّلُ الكلامَ الذي تنوي قوله إلى ما لا نهاية.

-إني أتقدّمُ في السنّ.

قالت لنفسها وهي تقف أمام المرآة وتضع مسحوقاً مُبيِّضاً على أنفها .

في الحقيقة لم تكن عجوزاً، فهي في الثامنة والعشرين من عمرها،

لكنّها تبدو طاعنةً في السنِّ قبلَ أوانها. ارتدَتْ حذاءها وحملَتْ حقيبة اليد ثمّ نزلَت السلالم. كانت النّانا جان، جدّتُها العجوز، جالسةً في ساحة الدار تُحدّقُ في «البَحْرَة» التي تتوسَّط بين الغرف.

وكأنَّ صوتَ كعبِ حذاء فايزة قد أيقظها:

-هل أنت خارجةٌ؟

- نعم.

-ليست فكرةً جيّدة، فالمظاهراتُ في كلِّ مكان.

كان لدى الجيران راديو، وكان صوتُهُ يصلُ إلى ساحة الدار. توقّفت فايزة للحظات، فقد كانت النَّانا جان على حق.

-على الأقلّ، اِلبَسي الشادور!

دونَ أيّة كلمة، استدارت فايزة وصعدت السلالم. ومن تحت أكوام الثياب، أحضرَت الشادور الأسود الذي ترتديه في الجنازات والمناسبات الدينيّة. كان قماشُهُ سميكاً وثقيلاً، فبَدَا شكلُها بعدما ارتدتْهُ مثل المثلَّث. قد يُغيظُها أمير خان، فلا بدَّ أنّه هناك. لم تكن تمانع أنْ يُغيظها في أيّ وقتٍ يشاء، كأنْ يُغيظها لأنها لم تتزوّج لحدّ اليوم على سبيل المثال. لكنْ ليس على مظهرها وهي ترتدي الشادور، فإنَّ ذلك سوف يجعلها تبكي، وهو أمرٌ غير مُستحبٍّ أنْ تفعلهُ أمام أمير خان. في كل حال، لم يكن لديها خيارٌ آخر، ولذلك نزلت السلالم ملتفّةً بالشادور. لم تُضِف النَّانا جان أيَّ تعليقاتٍ جديدة. المسكينةُ.. مَضَى زمنٌ طويل منذ آخرِ مرةً كانت تُلقي فيها الأوامرَ على الناس.

خرجت فايزة ومشت في الشارع، كان ضجيجُ المظاهراتِ الآتي من البعيد مسموعاً بشكل واضح. وصلت سيارةُ أجرةٍ في الحال، فصعدت إلى السيارة وقالت:

- شارع سيزافار .

نظر إليها السائقُ من خلال المرآة العاكسة، وسألها:

-أَلَسْتِ خائفةً؟ الفوضى في كل مكان.

-ليس لديَّ خيار.

-يجب عليّ أنْ أذهب عبر الشوارع الفرعية، فالشوارع الرئيسيّة خطرة جداً كما تعلمين.

-لا مشكلة .

كان السائقُ يشقُّ طريقه في متاهة الأزقّة والطُرقات الخلفية، ثمّ توقّف بسبب ازدحام السير عند واحدٍ من التقاطعات. ظهرَ رجلٌ في منتصف التقاطع وكأنّه يوجّهُ حركة السير. لكنه تركَ النقطة التي يقف فيها فجأةً، وركض سريعاً إلى الرصيف ومن ثُمَّ دخلَ في أحد الأزقة، بينما كان هنالك رجلٌ آخرُ يلاحقه.

بدأت السياراتُ تتحرّك ببطء، وفجأةً رَمَى شخصٌ بنفسه على مؤخّرة سيارة فايزة، وبدأ يضربُ الزجاج بسكينٍ يحملُها بيده. أنزلت فايزة رأسها إلى الأسفل ودفنتهُ في حضنها. دعسَ السائق على الفرامل ما جعلَ فايزة تنقذفُ إلى الأمام، فاصطدم رأسُها بالمقعد الأمامي. ثمّ انطلقَ مسرعاً ما جعلَ فايزة ترتمي إلى الخلف، فارتطمَ

ظهرُها بالمقعد الخلفي مجدداً. لقد جعلتْ هذه المناورةُ الرجلَ ينزلق.

-قلتُ لكِ إنَّ الوضعَ خطير... أنتِ آخرُ زبونٍ آخذهُ اليومَ بالتأكيد .

لم تُجِب فايزة أبداً. ثم صاح السائق:

-اللعنة! إنّه ذنبي أنا، ذنبي لوحدي، لأنني فضوليٌّ ولا أستطيع الجلوس في البيت. قالت لي العجوزُ أكثر من عشرِ مرّاتٍ بألّا أخرجَ هذا اليوم.

ظلّت فايزة صامتة، لم تكن تحبُّ الطريقة التي كان ينظرُ فيها السائق من خلال المرآة العاكسة إليها. كانت متوتّرةً ومتلهّفةً لأن تخرجَ من السيّارة في أقرب وقت .

وأخيراً وصَلَا إلى الوجهة المطلوبة، وضعتْ فايزة تومانين في يد السائق الممتدّة إليها، وارتجفتْ في اللحظة التي لامسَتْ فيها يدُها يدَهُ. ودون أنْ تنتظرَه ليُعيدَ إليها الفكّة، فتحتِ البابَ وقذفت نفسَها خارج السيارة.

كان المنزل يطلُّ على الشارع الذي كان مكتظّاً بالضجيج القادم من الحشود الآتية من البعيد. قرعت فايزة جرس الباب، وأحسَّتْ بمرارةٍ لاذعة في فمها خلال الدقيقتين اللتين انتظرتْ فيهما أن يُفتَحَ الباب. فتحت الخادمةُ عَلْيَا البابَ، وكانت تبدو دائخة. قالت فايزة باستغراب:

-هل كنتِ نائمة؟ يا إلهي !

تمتمتْ عَلْيَا شيئاً ما على سبيل الترحيب، ثمَّ خطَتْ جانباً لتسمح لفايزة بالدخول.

-هل السيدة مونيس [9] في المنزل؟

-نعم.

-أين؟

-في غرفة الجلوس كما أظنّ.

مشَتْ فايزة في اتجاه غرفة الجلوس، وهي تتساءل: هل أمير خان هنا؟

عندما خطَتِ الخطوةَ الأولى؛ قالت لنفسها «هنا»، وعندما خطَتِ الثانية «ليس هنا». راحتْ تُبَدِّلُ الأفكارَ مع كلّ خطوةٍ إلى أنْ وصلت إلى باب غرفة الجلوس، وقد شاءت الصدفة أنْ تصِلَها مع الخطوة «هنا». دفعَتْ البابَ بتوجُّس، كانت مونيس جالسةً لوحدها بجوار الراديو، تستمعُ إلى الأخبار باهتمام. لم يكن أمير خان هناك، فلربّما كان نائماً في الطابق العلويّ، خمّنَتْ.

-مرحباً!

التفتتْ مونيس، وتلوّنَ وجهُهَا بالأحمرِ من شدّة السعادة حين رأتْ فايزة، فصاحت:

-يا لها من مفاجأة! منذُ وقتٍ طويلٍ لم أركِ، أين كنتِ متخفّيةً

---

(9). مونيس: من الاسم العربي: مؤنس. [المترجم]

يا حلوة؟

ثم نهضَتْ على قدميها ببطءٍ، وأخفضَتْ صوت المذياع. ردَّتْ فايزة:

-منذُ زمنٍ طويلٍ لم أركِ يا عزيزتي. لا كلمة... ولا رسالة... سامحكِ الله!

تعانقت المرأتانِ، وتابعتْ كلٌّ منهما فَيْض التحيّاتِ والترحيباتِ والمداعبات والمزاحات وهما تجلسان على الأريكة بجوار الراديو .

أرادت فايزة أن تعرف:

-هل أنتِ لوحدكِ هنا؟

-نعم لوحدي، الماما والآخرون ذهبوا في رحلة حجٍّ إلى مَشْهَد.[10]

-لماذا لم تخبريني؟

-لقد ذهبوا منذُ يومين.

-آه أفهمُ ذلك. ما الذي يفعلهُ أمير خان؟

-إنّهُ ليس في البيت، هو في العمل.

-ماذا؟ في العمل؟ وسطَ كلّ هذه الاضطرابات؟

-في كلّ مرّةٍ يُغادرُ فيها البيتَ يقول إنّه ذاهب إلى المكتب،

---

(10). مشهد: هي ثاني مدن إيران بعد طهران، فيها الكثير من الآثار والمزارات والمقامات. أشهرها مرقد الإمام عليّ الرضا، ثامن الأئمة الاثني عشرية. [م]

فكيف لي أن أعرف؟

-هذا مثيرٌ للاهتمام.

-المثير للاهتمام هو مظهرُكِ هذا اليوم.

-سوفَ أعتبرُ ذلك من باب المديح.

-لستُ متأكّدةً كثيراً! هل تشربين بعضَ الشاي؟

-ستكونُ فكرةً جيّدة، إذا لم تكن تسبّب لكِ خسارةً كبيرة.

ما إنْ غادرَت مونيس لكي تُحضر الشاي، أطفأتْ فايزة الراديو، فهي لا تريدُهُ أنْ يقطع حديثَـها الذي لطالما أجّلتْ قولَه. عندما عادت مونيس، جلسَتْ أمام فايزة ولم تقل أيّ كلمة. سبقَ لفايزة أنْ قرأتْ في مكانٍ ما، أنّ الأشخاصَ ذوي الوجوه المدوَّرة مختلُّون عقليّاً، وكان عليها أنْ تركضَ نحو المرآة لكي تتأكّد من أنها لا تنتمي إلى ذلك الفصيل الـمُعاق. بالرغم من أنها أدركتْ سَلَفاً، وفي عديدٍ من المرّات - على الأغلب من خلال تعليقاتِ النَّانا جان المؤلمة والـمُهينة- أنّ ملامحَ وجهِهَا تشبهُ الحِصان. منذُ أنْ قرأتْ ذلك، طوّرتْ فايزة عادةَ تقييم الناس من خلال أشكالِ وجوههم. لأمير خان - بكلّ تأكيد- وجهٌ مستطيلُ الشكل وحَنكَاهُ قائمان. مونيس على العكس من ذلك، لها وجهٌ مدوَّر مثل قمرٍ مُكتملٍ أو مثل بيضة.

خلال السنوات العشر الماضية، كانت فايزة تعتبر مونيس امرأةً بلهاء. لكنّ فايزة بنَتْ صداقةً متينةً معها رغمَ أنّ مونيس تكبرها بعشر سنوات، وذلك لأنّها وجدَت فيها براءةً نادرةً وجاذبيّةً خاصّة.

بعد سنتين من الصداقة المتينة بينهما، دخلَ شقيقُ مونيس - أمير- المشهد. واليومّ صارت كلّما ذهبت لزيارة مونيس، يكون ذلك - غالباً- على أمل أن ترى أمير خان ولو للحظات. لو كان لمونيس وجهٌ أطولُ - فكّرت فايزة مراراً في الأمر- لكانت ذكيةً بما يكفي لترتَّبَ زواجَها من أمير خان. الفتاة المسكينة - قالت فايزة لنفسها- لماذا وجهُها مدوّرٌ إلى هذه الدرجة؟

جلبَتْ عَلْيَا صينيّة الشاي، وبينما كانت تصبّ الشاي واصلتْ مونيس التحديق في الراديو. على الرغم أنها كانت الأكبر سنّاً، وأنها في بيتها، إلا أنّ مونيس لم تكن تملك الثقة بالنفس لكي تشحذَ إرادتَها وتُعيدَ تشغيل الراديو من جديد.

-هل الأوضاعُ سيئة في الخارج؟

-إنّها الفوضى العارمة بكلّ معنى الكلمة.

-لقد حذّرني أمير خان من مغادرة المنزل، قال إنه سيقطعُ رأسي لو خرجتُ.

-إنّه على حقّ، فقد قفزَ أحدُهم على صندوق سيّارتي وأنا قادمة إلى هنا.

مُفَكّرةً في أن تجعلَ المحادثةَ مُركَّزةً على الموضوع الذي تنوي الحديثَ فيه، سألَتْ فايزة على الفور :

-هل رأيتِ بارفين مؤخّراً؟

أجابت مونيس:

-لم أرها منذُ شهر.

-حسناً، لكن لماذا؟

-كانت آخرَ مرةٍ رأيتُها فيها.. عندما كان ابنُها مصاباً بالحصبة الألمانية، وقد أخبرَتِ الناس حينها بأنْ يظلّوا بعيدين خشيةً من انتشار الفيروس.

-هذا يعني أنّك لم تَرَيها بعد ذلك أبداً؟

نظرَت مونيسُ إلى جليستها بازدراء. انتظرتْ فايزة منها أنْ تأخذَ بطَرَف الحديث، لكن المرأة الأكبر ظلَّتْ صامتةً ومحدّقةً في رُسُومات السجّادة. ولذا كان على فايزة أن تُكمِل، فقالت فجأةً ودون تفكير:

-لم أرَ في حياتي شخصاً حقيراً مثلَها.

رفعَت مونيس رأسَها ونظرَت إليها بعينين تفيضان بالذهول، وسألَتْها في دهشةٍ واستغراب:

-لكن لماذا؟

يا إلهي! أتمنّى لو لم يكن وجهُها مدوّراً إلى هذه الدرجة، فكّرَت فايزة في سرّها. ثم قالت وكأنّها تنفثُ السُّمّ:

-إنّها لئيمةٌ وشريرة! وإنه لمنَ المريعِ جدّاً أنْ تكتشفَ ذلك عن شخصٍ كانَ صديقكَ لمدّة خمسة عشرة سنة! إنّها مُدّعيةٌ وممثّلة، وليس فيها ولا ذرّةٌ واحدة من الصِّدق!

ثمة مسحةٌ من الخوف في عينيّ مونيس عندما سألتْ:

- ما الذي فعلَتْه؟ هل طلبَت الطلاق؟

دحضَتْ فايزة الفكرة كليّاً:

- لا.. لا.. أيّ طلاق؟ هذا آخر شيءٍ يُمكن أنْ تفعله تلك القذرة. يا لَأخي كم هو مسكين! مِنَ الخسارة أنه تزوّجها.

زمَّتْ مونيس شفتيها واستغرقتْ في التفكير كليّاً. في ذهنها، كانت تحاول دون أيّ نجاحٍ أن تجدَ سبباً واحداً لهذا الموقف ضدَّ بارفين، فقد تعرّفت على المرأة عن طريق فايزة في الحفلات والجنازات وغيرها من المناسبات العامّة، وجمعَتْ بينهما صداقةٌ مُتقطّعة، لكنّها لم تكتشف أيَّ عيوبٍ خطيرةٍ في شخصيّتها.

حدّقَتْ مونيس في فايزة مُنتظرةً منها توضيحاتٍ إضافيّة، ردّت فايزة التحديقةَ بمثلها لكنْ بعينينِ حمراوين، ثم شرعَتْ بالبكاء فجأةً، وهذا ما أيقظَ استجابةً عاطفيّةً في قلب مونيس، فراحت تبكي بشكلٍ جنونيّ. كان لديها استعدادٌ دائمٌ للبكاء حين ترى دموعَ الآخرين، ولم تكنْ تعرف لماذا.

توسّلَت مونيس:

- لا تبكي... أرجوكِ لا تبكي، كُرمى لله، قولي ما المشكلة؟

كانت فايزة تبحثُ عن منديلٍ ولا تجدُ واحداً، فمسحَتْ عينيها بطرف الشادور.

أكملتْ فايزة:

- هل تعرفين كم كنتُ لطيفةً معها؟ لم تكن محظوظةً بشيءٍ في

حياتها بقدْرِ حظّها بوُجُودي فيها. في السنة الماضية، عندما حصلَ شجارٌ بينها وبينَ أخي، كان الخطأُ خطأها، لكن تلك الغبيّة حزمَتْ حقائبها وهربتْ إلى بيت أمّها. لا توجدُ امرأةٌ شريفةٌ فيها ذرةٌ من العقل تفعل شيئاً كهذا. وهل تعرفين من هو الشخص الذي أعاد المياهَ بينهما إلى مجاريها؟ إنها أنا، أنا الساذجة! فقد أقمتُ حفلة عشاء ما زالت المدينةُ كلّها تتكلّم عنها حتى الآن. يومَها ذهبتُ إلى أفضل سوقٍ للحم، وأعطيتُ بقشيشاً للجزّار لكي يعطيني أفضل قطَع اللّحم لديه. طهوتُ الباذنجانَ مع لحم الخاروف والرز، وشويتُ بعضَ الدجاج، يا لهُ من دجاجٍ مشويّ! فقد نقعتُهُ في حمض الليمونِ والتوابل، وبقيتُ ساعةً كاملةً أقلّبُهُ على نار الـمِنْقل في ساحة الدار. كما صنعتُ اللبنَ مع السبانخ. هل تظنّين أنه من السهلِ أنْ يجد المرءُ الطماطم في خارج موسمها؟ لقد قطعتُ المسافة كلّها إلى سوق الفلّاحين من أجلها. كما أوصيتُ الكولونيل سَرُو بالا على كميّة من الفودكا تكفي والد بارفين ليشربَ طُولَ الليل.

كما لو أنّها أرادَت أن تُبقي المرارةَ في داخلها، عضّت فايزة على شفتيها معاً. كانت مونيس تنظرُ إليها بعينين متورّمتين:

-ثمَّ ماذا؟

-وماذا تتوقّعين؟ كانت بمثابة حفل زفافٍ جديد، وقد أعادها أخي إليه. وبعد شهرين من ذلك، أرادتْ -في الظاهر- أن ترُدَّ الجميل إليّ، لكنّ العاهرة أرادتْ -في الواقع- أنْ تغلبني وتضعني

في موقفٍ مُحرِج. وهكذا أقامتْ حفلة عشاءٍ قدّمَتْ فيها قائمةَ مأكولاتٍ أوروبيّة. احزريْ ماذا فعلتْ! رمَتْ بضعةَ قطعٍ من جِلْد الأحذيةِ في طبقٍ خزفيّ وسمَّـتْـها: شرائحَ لحم، كما لو أننا فلّاحون بلا ذائقة. عرفتُ على الفور أنّها تريد أن تجعلني عدوّاً لها، حسناً إذاً، قلتُ لنفسي: تريدين الحرب؟ ... سوفَ أُريكِ ما هي الحرب!

تمتمتْ مونيس بصوتٍ ضعيفٍ كي لا تبدو أنّها تتحدّى:

-إنّها لم تخبرني أبداً أنّها كانت على حربٍ مع أحد.

-ماذا تتوقّعين منها أن تقول؟ هل ستقول لكِ إنّها تحاولُ أنْ تسرقَ الأضواءَ منّي؟ ففي كلّ هذي السنوات المنصرمة، جميعُ الذين تذوّقوا طعامي لم يقولوا عنه سوى المدائح والإطراء. كيف لهذه المبتدئة أنْ تأتي في آخر العمرِ لكي تتحدّاني؟! إنّها حقيرةٌ بطبعها.

قالت مونيس خانعةً :

-أفهم!

-حسناً! ذهبتُ واشتريتُ كتاباً عن الطبخ. وطالما أنّني أستطيعُ أنْ أحضِّر طبقَ الرزّ ولحم الخاروف بالطريقة التي أفعلُها، فهذا يعني أنني أستطيعُ أنْ أصنعَ شرائحَ اللحم من مِدْعَسَة البابِ المطاطيّة، مِثْلَها!

قالت مونيس في موافقةٍ تامّة:

-بالتأكيد، ليست أمراً صعباً. ثمّة برنامج للطبخ يُبثُّ عبرَ الراديو في الصباح، ويبدو مما أسمعُ أن الموضوع سهل.

قالت فايزة بشيءٍ من الرضا عن الذات:

-هذا بالضبط ما حاولتُ إثباته! ولهذا أقمتُ مأدبة عشاءٍ أخرى.

-ومتى كانت الحفلة؟

-منذ حوالي شهر، ودعوتُ المجموعةَ نفسها إلى العشاء، وقدّمتُ فيه قائمة مأكولاتٍ أوروبية. ذهبتُ إلى سوق اللحم ودفعتُ للجزّار خمسة تومانات بقشيشاً لكي يعطيني ثمانية قطع من اللحم الطازج. اشتريتُ فاصولياء خضراء وبازيلاء بيضاء، واشتريت بعضاً من الطماطم والبطاطا الصغيرة. طبختُ الرزَّ مع الفاصولياء وحضَّرتُ اللبن مع السبانخ. أمّا الصلصة التي حضّرتُها من أجل شرائح اللحم، فكانت لذيذةً جدّاً. ومن سوق الفواكه في وسْط البلد اشتريتُ أكبر حبّاتِ الدرّاق والخوخ الموجودة هناك، واشتريتُ كرزاً حامضاً وحلواً. وكذلك طلبتُ من الكولونيل سَرُو بالا أنْ يؤمّن لي أفضلَ أنواع الفودكا ثانيةً. سكبتُ الفودكا في دورقٍ زجاجيّ، ثمّ أخذتُ طبقَ الفواكه الكريستاليّ من عند جدّتي ووضعتُ فيه قطعاً من الثلج، ثم وضعتُ الدورقَ في منتصفه.

كانت مونيس مذهولةً، تُحدّقُ في فايزة بإعجابٍ شديد:

-لكن لماذا فعلتِ ذلك؟

أجابت فايزة بنبرة المنتصِر:

-لكي تظلَّ الفودكا باردة.

-وااو!

-أتمنّى لو كنتِ هناكَ لتري بعينك .

-لماذا لم تدعيني؟

-في كلّ حالٍ كان أمير خان في شيراز، وأنت لا تستطيعين العودة إلى البيت وحيدةً في آخر الليل.

قالت مونيس بصوتٍ مُتحسّرٍ خائب الرجاء:

-أفهمُ ذلك.

- ما الذي يمكنني قوله، لقد أكلوا وأكلوا وأكلوا... ثم راحوا يمدحون الطعام كثيراً وكثيراً وكثيراً... أما العاهرة الصغيرة تلك فكادتْ أن تنفجر من الغيرة، لقد احمرَّ وجهُها وصار لونه مثل الشمندر.

-تقصدينَ بارفين؟

-بالطبع، ومَن غيرُها؟ هل تعرفينَ ماذا فعلَتْ بعد ذلك؟ التفتتْ دون سابق تحذيرٍ إليّ وقالت: عزيزتي فوزي - مُعطيةً إيّايَ اسم دلعٍ جديد: فوزي! كما لو أنها لا تريدُ أن تُزعجَ نفسها بلفظِ اسمي كاملاً- عزيزتي فوزي... دعيني أقولُ لكِ شيئاً، لا ينبغي أنْ تضعي الصَّلْصَة على شرائح «ميغنون». قالت ذلك بصوتٍ عالٍ حتّى أنّ كل أهل الحيّ قد سمعوها .

-حقّاً!

-لا يمكنك أنْ تتصوّري كيف شعرتُ بعدَ ذلك، سألتُها مَن قال إنه لا ينبغي أن نضعَ صَلْصَةً على شرائح «ميغنون»؟ فقالت إنها سمعتْ ذلك من الراديو، فقلتُ إنني قرأتُ التعليمات في كتاب الطبخ، فردّتْ بأنها هي أيضاً قرأتِ التعليمات في كتابٍ للطبخ، فقلتُ لها هذا يعني أنّ كتابكِ رديء. عند هذه اللحظة تدخّلَ أخي وقالَ إن الشرائح لذيذةٌ سواءً كانت مع صلصة أو من دون صلصة. لكنّ تلك المرأة التافهة الصغيرة، انتفختْ من الغضب وصارت مثل البالون لأنّ أخي وقف إلى جانبي، فقطّبتْ حاجبيها وظلّتْ عابسةً طُولَ السهرة.

في تلك الأثناء، كانت مونيس مشغولةَ التفكير فيما إذا كانت فايزة قد نمّقت القصّة وأضافتْ عليها بعض التوابل.

تابعت فايزة:

-راحت تتصرّف بتوترٍ وعصبيّة إلى أن خرجَ الرجالُ إلى الشرفة، فبقيتْ معي متظاهرةً بأنها تريد مساعدتي في تنظيف الطاولة.

ظلّت فايزة صامتة، كانت شفتاها مُنقبضتين بينما كانت الدموعُ تتدفّق من عينيها على خدّيها، وكأنّ ذلك تحضيرٌ لفاجعةٍ شنيعة سوف تحكيها بعد قليل.

ناشدتْها مونيس بعينين تتدفّقان بالدمع:

-يا إلهي! أرجوكِ لا تبكي!

-تلك العاهرة التفتتْ إليّ وقالت: إنّ امرأةً تتسكّع في القاعة مع «فتى»، من الأفضل لها أن تهتمّ بحماية غشاءِ بكارتها بدلاً من أنْ تهتمّ بإقامة حفلات العشاء!

صارت الدموعُ تتدفق من عيني فايزة حتى فخذيها، وكانت مونيس تبكي مثلها أيضاً، ثمّ سألتها:

-ومن هذا «فتى»؟

-ابنُ العاهرة ذاك.. هو أخوها! إنّ منظرَهُ مثل الخراء، مثل مرحاض فائض. صرتُ غاضبةً جداً، فخطرَ في بالي أنْ أصفعها على وجهها بكلّ قوّتي حتى أثقبَ طبلَةَ أُذنها، أنْ ألقّنها درساً لا تنساه. لكنْ من حُسن حظها أنّ أخي كان على مقربةٍ منّا، فحسَبتُ الأمر بشكل أفضل، فإذا كانتْ تسخرُ مني فسوف أسخر منها أنا أيضاً. قلتُ لها... أولاً وقبل كل شيء؛ لا أحدَ سوى عزرائيل يقبلُ بأنْ يتسكّع مع أخيك! فبالنسبة إلى شكلِ أخيك فلا أحد سوى عزرائيل سيكون مُهتمّاً به وبأخذه. ثانياً؛ البكارةُ ليست غشاءً، بل هي فتحة، وأنتِ بالتأكيد لن تلاحظي هذا الفرق بعد ثلاثةِ أولاد. أنتِ التي تتسكّع في كل مكان وتغتابُ الناس من خلف ظهورهم.

توقّفت مونيس عن البكاء، كان فمها فاغراً وعيناها مُسمّرتين على فايزة. أكملت فايزة بعدَ أنْ أخذت استراحة قصيرة:

-أخبرتُها أنها إذا فتحتْ فمها القذر مرة أخرى، فسوف ألقّنها

درساً لن تنساه طُولَ حياتها. الشيءُ الجيد أنها كانت خائفةً من أخي الذي كان على مقربة منّا، ولهذا سَدَّتْ حلقها.

كانت مونيس تحدّقُ في رسوم الأزهار على السجادة دون أيّة كلمة، بينما كانت فايزة تجفّف عينيها، وتنظر باهتمامٍ شديد إلى التعابير المرتسمة على وجه مونيس. أكملتْ فايزة:

-أعرف أنها أفعى، وأنها لن تترك غريمها قبل أن تبثّ سُمُومها فيه. ها هي الآن تدور من بيت إلى بيت وتتكلّم عني بالسوء، لكنني لا أهتمّ، ضميري مرتاح. كنتُ غاضبةً منها لدرجة أنني أردتُ أن أذهبَ إلى القابلة لأجلبَ من عندها شهادة عذرية، ثم أضعها في إطارٍ وأعلّقُها على الجدار حتى يراها الجميع!

ما زالت مونيس محدقةً في رسوم السجادة، ثم تكلّمتْ بصوت خفيض:

-حسب ما قالت أمي، فإنّ البكارة غشاءٌ يُمزّقُ ويُفَضُّ، حتى لو سقطتِ الفتاةُ من مكانٍ عال.

ردّتْ فايزة باستنكارٍ شديد:

-ما هذا الكلام؟ إنها فتحة! إنها فتحةٌ مُنقبِضَة، لكنها تتوسَّعُ كنتيجةٍ للإيلاج.

-أووووه!

تأوّهتْ مونيس وجفّت الألوان في وجهها. سألتها فايزة مذعورةً:

- ما المشكلة؟

- لا لا... لا شيء، لكنْ... يجب أنْ تكون غشاءً... مثل السِّتارة.

قالت فايزة بشيءٍ من الشفقة:

- لا.. لا.. يا عزيزتي! لقد قرأتُ ذلك في كتاب، أنا أقرأُ كثيراً مثلما تعلمين، إنها فتحة.

دخلت عَلْيا الغرفة حاملةً صحنَ فواكه، متبوعةً على الفور بأمير خان. رحّبتْ فايزة به بحياء واحتشام، بينما أخذ الرجُل المربَّع البنية مكاناً له على الكرسي في زاوية الغرفة وجلس.

- إنّ الوضع جنونيٌّ في الخارج، لا ينبغي لأحد أن يخرجَ من بيته.

لاحظَ أمير أن عينيّ البنت حمراوين، فسأل :

- ما الخطب؟

أجابت مونيس:

- لا شيء.

لم تعجبه تلك الإجابة، ولذلك سأل بنبرةٍ حادّة:

- إنني أسألُكِ ما الخطب؟

قالت فايزة مُحاولةً أن تُلطّف الأجواء قليلاً:

- كنا نتحدّث كلام بنات.

لكنه أصرَّ أن يعرف:

-لماذا تبكين؟

-أمم... نحن نسوةٌ كما تعلم!

ارتسمتْ ابتسامة الرضا على شفتيه.

قالت فايزة:

-يجبُ عليّ أن أرحل.

ردَّ أمير خان:

-إلى أين؟ الفوضى تعمُّ المدينة، الوضعُ سيءٌ جداً... حتى الكلب لن يجدَ سيّده في هذا الزحام.

-إنه ليس سيئاً كثيراً.

لم يكن أمير خان يحبُّ أن يعترض على كلامه أحد، فأضاف:

-من حيث المبدأ، فإن مكان النسوة هو البيت، أما الخارجُ فهو عالم الرجال فقط.

لم تجب فايزة، إذ ليس هنالك أيُّ فائدة من النقاش مع أمير خان، ومن الأفضل أن تترك الأمور للزمن فهو الذي يتولّى الأمور. الآن وبعدما أنهت النقاش في مسألة بارفين، ما عادت تلك المرأةُ تستطيعُ أنْ تعكّر لها صفوَ علاقتها مع عائلة أمير خان. لقد كانت سعيدةً بأنها هيَ مَن بادرتْ في الأمر.

نهض أمير خان لكي يوصل فايزة إلى بيتها قبل غروب شمس

النهار، وكم كانت فايزة مسرورةً بأن تحظى ببعض الوقت معه لوحدهما. قالت فايزة عندما خرجا:

-سيكونُ من الأكثر أماناً... أنْ نذهب عبر الأزقّة الفرعيّة، هذا ما قالَهُ سائقُ سيارة الأجرة.

مونيس

الجزء الأول: «الموت»

في الساعة الرابعة عصراً من يوم السابع من آب عام 1953، وقفت مونيس على سطح بيتها، وراحت تشاهدُ ما يجري في الشارع من حولها. لم يغمَضْ لها جفنٌ منذُ ستٍ وخمسين ساعة بالضبط، وكان أمير خان قد منعها من مغادرة المنزل.

من فوق السطح، كانت ترى الشارع مكتظّاً بالحشود التي تتدافع إلى الأمام وإلى الخلف، كما لو أنها تطاردُ بعضها بعضاً. بعد ذلك عبرَتْ سلسلةٌ من الشاحنات تحمل كلُّ واحدةٍ منها جمعاً من الناسِ على ظهرها، متبوعةً بقافلةٍ من الدبّابات. كانت أصواتُ المدافع الرشّاشة مسموعةً من بعيد.

كان رأسُها مكتظّاً بفكرةٍ واحدةٍ فقط، وهي أنها منذ نعومة أظافرها، ومنذُ أقدم تسجيلاتٍ في ذاكرتها، كانت تنظرُ إلى الحديقة عبر النافذة، وهي مقتنعةٌ بأنّ العذريّة غشاءٌ كالستارة، لكنه غشاءٌ ضعيفٌ وسهلُ التمزُّق. وفي الثامنة من عمرها، أخبروها بأنّ الله لن يغفرَ لفتاةٍ تفقدُ عذريّتها لأيّ سببٍ كان. الآن، ومنذُ يومين فحسب، علِمتْ أنّ العذرية ليست ستارةً بل فتحة. شيءٌ ما قد انكسرَ في

داخلها، وثمّة موجةُ غضبٍ باردةٌ وَلَجَتْ في جسدها. راحت تتذكّر أيام طفولتها، حينما كانت تنظرُ بلهفةٍ إلى الأشجار العالية وشجيرات السياج، مُتمنّيةً لو تستطيع أنْ تتسلّق واحدةً منها في يوم من الأيّام، بحُريّة وبساطة، ودون حدوثُ فضيحةٍ جنسيّةٍ تتعلّقُ بعذريّتها. تجمّدَتْ ركبتاها.

– سوفَ أنتقم.

قالت لنفسها.

اندفعَ رجلٌ في الزقاق المجاور للبيت، كان يسيرُ مترنّحاً وهو يضغطُ بيدهِ على بطنه، وما إنْ مشى بضعَ خطواتٍ في الزقاق حتى سقطَ في فتحة تصريف المياه، رأسُهُ قبلَ جسده. من مكان وقوفها، لم تستطع مونيس رؤية وجهه، فقد رأتْ قدميه العالقتين خارجَ البالوعة فقط.

أغمضَتْ مونيس عينيها ومالتْ بجسدها نحو الأمام، وخلال خمس ثوانٍ فقط، صارتْ ملتصقةً على أرضيّة الرصيف في الأسفل، وجهُها إلى الأعلى، وعيناها مفتوحتانِ وسابحتانِ في زُرقة السماء.

مونيس

الجزء الثاني: «الولادة والموت ثانية»

في البداية كانت مونيس ميّتةً، أو على الأقل حسِبَت نفسها ميّتة. ولوقتٍ طويلٍ طويلٍ ظلّت مستلقيةً على الرصيف وعيناها مفتوحتان على اتّساعهما. راحتْ زُرقة السماء تُعتِمُ شيئاً فشيئاً، وبدأت الدموع تنسابُ على ووجهها. شرعتْ تعرُكُ عينيها بيدها اليمنى ثمّ نهضَتْ على قدميها ببطءٍ شديد. كان جسدُها واهِنَ القوى وموجَعاً بالكامل.

هناك في أول الزقاق، ثمّة رجلٌ قد وقع في مصرف المياه، وما زالت ساقاه عالقتين في الخارج. زحفت مونيس نحوه بصعوبةٍ شاقة. كان وجه الرجل أيضاً متّجهاً إلى الأعلى، وعيناه مفتوحتين على اتّساعهما.

سألت مونيس:

-هل أنتَ بخير؟

أجاب الرجل:

-أنا ميّت.

-هل أستطيعُ مساعدتك في أي شيء؟

-أفضلُ شيءٍ تفعلينه هو أنْ تذهبي من هنا، فقد تقعينَ في ورطة.

-لماذا؟

-ألا تسمعينَ كلّ هذا الضجيج؟ لقد جاء وقتُ الانتقام.

-إذاً، ما الذي تفعله هنا؟

قال الرجل بشيء من التبرّم:

-سيدتي العزيزة، قلتُ لكِ إنني ميّت.

لم ترتدعْ مونيس فتابعت:

-الآن، إذا ما داويتُك واعتنيتُ بكَ فمِنَ الممكن أنْ تنجو.

-لا... لن ينفع شيءٌ بعد الآن. ثمّة كاتب فرنسي كتبَ فيلماً سينمائيّاً بعنوان "لقد فات الأوان"، أنا الآن أُمثّلهُ... فقد فات الأوان بالنسبة إليّ.

غسلت موجةٌ من الحزن وجهَ مونيس، ثم همسَتْ مُفعمةً بالأمل:

-على أية حال، قلتُ ربما...

لكنّ الرجل قاطعها بشكل فظٍّ، وبدَتْ أَمَاراتُ الغضب على وجهه:

-قلتُ لكِ أن تذهبي! هذه سخافة!

وهكذا غادرت مونيس المشهد، وراحت تتجوّل لمدّة شهرٍ في شوارع المدينة.

في البداية، كانت الشوارع مكتظّة بالرعاع والغوغاء الذين يقاتلون ويقتلون بعضهم بعضاً. لكن الفوضى انحسرت تدريجياً، وعادَ الناسُ إلى بيوتهم، ربّما لكي يتأمّلوا ما حدثَ ثانيةً وسْط طعناتٍ من الندم. بعضُهم انتهى نهارُه في السجن، وآخرون لديهم أسبابهم الخاصّة لكي يحتفلوا ويقيموا سَهَراتِ اللَّهو والشُّرب. مونيس التي لم تعد صبيّة، وما عادت لديها رغبةٌ في حفلاتٍ كهذه، كانت تتفرّج على المحتفلين عبر النوافذ وتسترقُ السمع إلى ضحكاتهم. قليلٌ من الأشخاص تجرّؤوا على الخروج ليلاً، بحُكْم حظْر التجوُّل، إذ كانت دوريّاتُ العَسَسِ تُوقِفُ المارّة وتسألهم عن كلمة السرّ. بعد قليلٍ، وجدَت مونيس نفسها أمام متاجر الكتب في الشارع المقابل للجامعة. نظرت إلى أغلفة الكتب المعروضة على الواجهات باستحياءٍ، ودون أن تجرؤ أو تسمحَ لنفسها بقراءة عناوينها. وفي النهاية تغلَّبتْ على نفورها وشرعتْ تقرؤها. لقد كانت مهتمّة بكتاب واحد، وقد صادف ألا يكون موجوداً في المتجر، بل عند أحد الباعة المتجوّلين. كان عنوانه «الإخلاص الجنسيّ: أو كيف نعرف أجسادنا».

لمدّة اثني عشر يوماً، كانت مونيس تعبر من أمام عربة بائع الكتب المتجوّل، وفي كل مرة تسترقُ النظر إلى الكتاب وعنوانه خفيةً. في اليوم الثالث عشر، حشدَتْ كل ما تملك من الشجاعة واقتربتْ من البائع.

-كم سعرُ هذا الكتاب؟

-خمسة تومانات.

اشترت الكتاب ووجدت لنفسها شارعاً مهجوراً، ثم جلست تحت ظلِّ شجرةٍ وشرعتْ تقرأُ دون انقطاع. قرأت مونيس الكتابَ من الغلاف إلى الغلاف ثلاث مراتٍ، وقد استغرق ذلك ثلاثة أيام. في نهاية اليوم الثالث، رفعت نظرها من فوق صفحاتِ الكتاب، فرأت العالم الخارجيّ بضُوءٍ مختلف، وأحسَّت بأنها قطَعتْ مراحلَ من النُّضج والنَّماء.

رمَت الكتاب تحت ماء الميزاب وراحت تمشي في اتجاه بيتها. وصلت إلى البيت مع غروب الشمس، فتحَتْ عليا الباب، وما إنْ رأتْ مونيسَ حتى صرختْ بأعلى صوتها ثم خارَتْ رُكبتاها.

سألتْها مونيس وهي تساعدها لكي تقف على قدميها:

-عليا يا عزيزتي، ما الخطب؟

-لقد أخفتِنَا عليكِ كثيراً يا سيدتي. شهرٌ كامل ووالداك وأخوك يُفَلّون شوارعَ المدينة والريف بحثاً عنك، إنّهم يبكون دَمَاً في كل ليلة. أين كنتِ؟ وماذا كنتِ تفعلين؟!

لم تقل مونيس أيّ شيء، أومأتْ برأسها وابتسمتْ واثقةً. ثم قالت بعد صمت طويل:

-عزيزتي عليا، أنا ما عدتُ مونيس القديمة بعد اليوم، فأنا الآن أعرف أكثر بكثير.

مشتْ نحو غرفة الجلوس واثقة الخُطَا، ثم جلست على الكرسي الذي في الزاوية، واستغرقت في التفكير .

بعد خمس عشرة دقيقة، وصل أمير خان إلى البيت بثيابٍ مغضّنةٍ وشَعرٍ أشعث، وبجسمٍ مهدودٍ من التعب. تجمّد في مكانه بضع لحظاتٍ حين رأى مونيس في غرفة الجلوس.

-يا قليلة الحياء! أين كنتِ؟؟

ابتسمت مونيس بمودّة لأخيها، إذ لم تجد سبباً لكل هذا الغضب، ولم تشعر بالإهانة لما قالَ ولم تتفاجأ به كذلك. صار صوتُهُ يصفرُ بوحشيّة:

-لقد أفسَدْتِ سُمعة العائلة! هنا وهناك، في كل مكان من الحي، الجميعُ باتوا يعرفون بأنكِ مفقودة.

-لقد خرجتُ في نزهةٍ قصيرة فقط.

أجابت مونيس، ثم أضافت بشيء من التهكّم:

-بعدَ أخذِ موافقتِكَ بالطبع!

-كنتِ تعلمين أنكِ ممنوعةٌ من مغادرة المنزل أثناء أعمال الشغب، يا قحبة!

قالها أمير خان وهو يسحبُ حزامه من خصره، ثم انهالَ عليها بالضرب.

بالنسبة إليها، كانت مونيس مصدومةً بكلّ هذا العنف المنفجر، فتكبّدَتْ ضَرَباتِ الحزام دون أنْ تنبس ببنتِ شفة، ودون أيّ محاولةٍ للدفاع.

ثم نطقتْ في النهاية:

-لماذا تضربُني؟ هل أنتَ ساديّ؟!

استشاطَ أمير خان غضباً عند سماعه لتلك الكلمات، وبلغتْ أحقادُهُ ذروتَها، فالتقطَ السكّين التي كانت على طاولة الطعام، وغرَزَها بكلّ قوّته في صدرها.

مع شهقةٍ خافتةٍ واهنة، ماتتِ العانسُ للمرّة الثانية.

مونيس

الجزء الثالث: «البعث»

سمعَت عليا جلبةً وصياحاً فدخلت الغرفة، وحينما رأت جسد مونيس الملطّخ بالدماء والسكّين المدمّاة في يد أمير خان، صرختْ وسقطت أرضاً مغشيّاً عليها. عندئذٍ استعاد أمير خان اتّزانه العقليّ بصورةٍ تكفي ليشعر بالهلَع. نظر إلى السكّين كما لو أنه تفاجأ من وجودها في يده، فألقاها على الطاولة فوراً، ثمّ غيّر رأيه والتقطها من جديد. راح يمسح بصماته من فوق مقبض السكين بمنديل أخرجه من جيبه، ثم أعادها إلى الطاولة .

قُرع جرسُ الباب فهرعَ أمير خان ليفتح. دخل والداه الردهة وشَرَعا بالكلام دون أن ينتظرا منه أيّ إجابة :

-لقد بحثنا في ثلاثة مخافر للشرطة... لا يوجد أيّ أثر لها .

تقدّما نحو غرفة الجلوس، وكادا أنْ يتعثّرا بـ عَلْيَا التي ما زالت مسجّاةً على الأرض، قبل أنْ يلمحا جسد مونيس. نظر كلٌّ منهما نحو الآخر في ارتباكٍ وذهول، وكما لو أنّهما متّفقان سلفاً، صرخَ كلٌّ منهما بأعلى صوته ثم خرِسَا فجأةً، وتَـهَـاوَيَـا على الأرض مغميً عليهما.

الآن، بات أمير خان مع أربعة أجساد هامدة عند قدميه. تساءل

بصوت عالٍ :

-يا إلهي! ماذا سأفعل؟

جلس على طرف الكرسيّ محدقاً في المشهد الذي أمامه، مقيّداً باليأس، فَراح يبكي وينتحب. شرعَ يمسح دموعه بالمنديل الذي في يده، ليلحظَ فجأةً أنه قد مرّغَ وجهَه بالدمِ العالق على المنديل. رمى المنديل مرتعباً ومشمئـزّاً، وتابع التحديق في الأجساد الممدّدة على الأرض، والتي لا تُبدي أيّ علامةٍ من علامات استعادة الوعي. هزَمَهُ الإحساسُ بالذنب وشلَّ قواه.

رنَّ جرسُ الباب مرة ثانية.

بما أنّ العائلة كانت قد تواصلت مع العديد من مخافر الشرطة بخصوص اختفاء مونيس، فلم يكن من المستبعَدِ أنْ يمرّ خمسةٌ أو ستّة من رجال الشرطة في اليوم، لكي يُطلعوا العائلة على آخر مُستجدّاتِ التحقيق. مضى أمير خان نحو باب البيت، فتحه بعزمٍ وهو ينوي أنْ يُسلّم نفسَهُ إلى الشرطة.

لقد كانت فايزة، وبحُكْم العتمة عند الباب، فلم ترَ وجهَ أمير خان بوضوح:

-مرحبا.

صرختْ مرتعبةً عندما تراجع أمير خان بضعَ خطواتٍ في اتجاه الضوء، ثمّ أسندت ظهرها إلى الجدار وقالت :

-يا إلهي!

توسَّل أمير خان إليها:

-كرمى لله! لا تفقدي وعيَكِ أنتِ أيضاً !

-لقد أتيتُ لأرى إنْ كان ثمّة أخبارٌ عن مونيس.

تكلمت فايزة بصوت مرتجف، بينما كان أمير خان يشير بإصبعه في اتجاه غرفة الجلوس.

فتحت فايزة الباب ونظرت إلى الداخل، شهقتْ والتفتتْ إلى أمير خان بوجهٍ امْتُقِعَ لونُه :

-هل قتلتَهم جميعاً؟

-لا... فقط مونيس.

-وما الذي سوف تفعله الآن؟

-ليس لدي أيّ فكرة.

أجاب أمير خان وهو ينزلق بظهره على الجدار حتى وصل الأرض، ثمّ انفجر بالبكاء عاجزاً عن فعل أي شيء. إن رؤية هذا الرجل في حالة من اليأس والاستسلام، أوحتْ لفايزة بفكرةٍ أنّ القدرَ قد وضَعَها أخيراً على سكّة الحياة. خلعَتِ الشادور ورمتْهُ في الزاوية، وجلست على الأرض قُبالةَ أمير خان مباشرة. شَرَعتْ بالكلام بنبرةٍ حازمة:

-أصغِ إليّ يا رجل، إنه فعلٌ شائن، فلماذا تبكي؟ أنتَ أخ، وعندك شرف، وعليك واجبُ حمايته. لقد قتلتَها؟ حسناً إذاً، لقد فعلتَ الشيء الصواب. لمَ لا؟ فقد كانت تتسكّعُ خارج البيت لمدة

شهر كامل، لا توجد فتاةٌ شريفةٌ تتصرّف على هذا النحو. لقد كان مصيرُها المحتَّم أنْ تموت. كنتُ سأفعلُ الشيء ذاته لو كنتُ في مكانك. لقد ربّتكما أمُّكما خيرَ تربية.

توقفتْ فايزة عن الكلام لتمدّ يدَها إلى صدرها وتخرجَ منديلاً، أعطتْه لأمير خان ليمسحَ به دموعه.

أمير خان الذي صار الآن أكثر هدوءً وسيطرةً على نفسه، نفَّ في المنديل. كانت خُطبةُ فايزة الـمُسهِبةُ هي التعزيةُ والمواساةُ التي يحتاجهما بالضبط، وقد نزلتْ عليه وكأنها ضربٌ من التدخُّل الإلهي. وفي الوقت عينه، فكّر أنه من غير اللائق أنْ تخبّـئَ امرأةٌ منديلاً بين ثدييها، ثم تخرجه أمام رجُلٍ بشكلٍ يكشفُ عن مُنْفَرَجِ ما بين الثديين. قبل لحظة فحسب، كان يعتبرُ فايزة بمثابة أخته، وكان ليقتُلها على فعلِ حماقةٍ كهذه. لكنها بالطبع لم تكن أخته، ولم يكن سلوكُها محلَّ اهتمامه. بالإضافة إلى أنها قد أعطتْه المواساةَ والسكينة اللتين كان يحتاجهما أكثرَ من أيّ شيءٍ آخر في مثل هذه الظروف. سألَ أمير خان وهو يشهقُ ويتنهّد بعمق:

-في رأيكِ، ماذا نفعل الآن؟

-حسناً، سوف ندفنها في ساحة الدار الخلفية، هذا أحسنُ ما يمكن فعله. كثيرٌ من الناس يُفقدون في كل يوم، ومكتبُ التحقيق الجنائي مشغول جداً، فلن يأتي ويطرح الأسئلة.

بدتِ الفكرةُ معقولةً جداً لأمير خان، فهزّ رأسهُ موافقاً ومضى الاثنان معاً إلى الساحة. حفَرَا بالمعول والرفش قبراً على عجل، فكان

قبراً طافياً بعُمْق ثلاثة أقدام تقريباً.

رَجَعَا إلى غرفة الجلوس حيث ما زالت عَلْيَا ووالدا أمير خان ممّدين على الأرض وفاقدي الوعي. حمل الرجلُ والمرأةُ جسدَ مونيس ونقلاه إلى الساحة الخلفية، وضعاه في القبر، وغطّياه بالتراب. ثمّ عادا إلى غرفة الجلوس لينظّفا بقع الدم، ويمحُوَا كلّ أثر للجريمة.

بعد قليل، أظهرت عليا والوالدان علاماتِ التعافي، وبدؤوا يستعيدون وعيهم تدريجياً. على كل حال، وبسبب صدمة الأحداث السابقة، لم يستطيعوا استرجاعَ ما قد حدثَ أو تذكُّرَهُ بالضبط، ما عدا عليا التي تتذكّرُ مشهداً ضبابياً لجثّةٍ مُسجّاةٍ على الأرض. لكنْ، وبما أنها كانت أُميَّة، وخادمة البيت، لم تسمح لنفسها بأن تعبّر عمّا يجولُ في رأسها. فوق ذلك، كانت هنالك إشاعةٌ تقول إنّ لدى عَلْيَا شبيهةً تحتلُّ أسطحَ البيوت في ليالي الصيف، وتتلصَّصُ على الناس في حُجُراتِ نومهم، ولهذا قرّرتْ ألّا تطرح أيّ سؤال .

ابتهجتْ والدةُ أمير خان عند رؤية فايزة، فتكلّمتْ عفوياً:

-يا عزيزتي! كيف حالك؟ كم أنا سعيدةٌ برؤيتك بعد زمن!

-ما الذي تقصدينه ببعدِ زمن؟ أنا دوماً هنا، أستغلُّ حسنَ ضيافتكم.

-ما هذا الكلام؟ أهلاً وسهلاً بك في كل وقت.

-لقد مررتُ صوبكم لأرى إنْ كان ثمة أخبارٌ عن مونيس.

-أوه يا عزيزتي، لم نعثر عليها لحد الآن. ابنتي المسكينة، إن

شاء الله سوف نجدها.

-حسناً إذاً، سوف أترككُم بهمِّكُم. كرمى لله، أخبريني فوراً عندما تسمعين بأيّ جديدٍ عنها.

قالتْ فايزة ثم همّتْ بالخروج.

-لن أدعكِ تذهبين، سوف تبقين معنا للعشاء.

ثم قالت مؤكدةً:

-عليا.. يا عليا... اذهبي إلى المطبخ .

-لا.. لا... حقّاً لا أريد إزعاجكم.

-لا إزعاج أبداً، لن أدعك تغادرين.

حُسمَت المسألةُ ومضتْ عليا إلى المطبخ، وكما هي عادتها، راحتْ تغنّي أثناء تحضير الطعام بصوتٍ ضعيفٍ ونبرةٍ شجيّةٍ أغنيةً شعبيةً من المنطقة الغربية. كانت كلمات القصيدة، وهي على نظام الرُّباعيّات، تصفُ رغبة الشاعر في أنْ يكون قادراً على التعبير عمّا يكابده قلبُهُ بعد فراقِه عن محبوبته.

بعد العشاء، عرضَ أمير خان على فايزة أنْ يوصلها إلى البيت بالسيارة. كان صامتاً ومتفكّراً طُولَ الطريق، بينما كانت فايزة مرتاحةً وواثقةً إلى درجة أنها راحتْ تداعبُ يدَهُ التي يمسكُ بها المقود. لكنه لم يُبدِ أيّ ردّة فعل.

اقترحت فايزة بكلّ ثقة :

-هل تعلم؟ بعد كلّ ما حدث، بات عليكَ أنْ تتزوّج لتضعَ اختفاءَ مونيس خلفَ ظهرنا. بالإضافة إلى ذلك، أنتَ بحاجةٍ إلى زوجةٍ تكونُ شريكتكَ وبيتَ أسرارك، تعتني بكَ وتمنحكَ الراحة والسلوان.

أجابَ أمير خان كمَن اكتشفَ فجأةً ما كان ينقصُه ويحتاج إليه:

-بالضبط! أنتِ محقّة تماماً.

بعد بضعة أيام، تحدّث أمير خان إلى والدته. بدأ الكلامَ متوتراً وهو يهزُّ الكرسي الذي يجلس عليه:

-أمي، ربما من غير اللائق أنْ أتحدّث عن ذلك وسط هذه الظروف، لكنني أفكّرُ في الأمر منذ مدة، ولقد توصّلتُ إلى قناعةٍ بأنني أحتاجُ إلى زوجةٍ تكون شريكتي وبيت أسراري، تعتني بي وتمنحني الراحة والسلوان. ولهذا فقد قرّرتُ أنْ أتزوج.

ابتهجت الأم من أعماق قلبها، وصاحت:

-هذا خبرٌ رائع!

ثم استدركت:

-بالطبع، فإنّ أختكَ ما زالت مفقودة. كان من الأجمل والأنسب أنْ تكون جزءاً من هذه المناسبة السعيدة، لكن ما الذي يمكننا فعله؟ هذه مشيئةُ الله. متى وأين تنوي أنْ يكون الزفاف؟

أجاب أمير خان باستحياء:

-حسناً، أولاً يجب علينا أنْ نطلب يدَ الفتاة، ونرى ما يقول

أهلُها.

سألت الأم بشيءٍ من الارتباك:

-لكن ألستَ تقصدُ فايزة؟

-لا يا أمي! أنوي الزواج من ابنة الحاج محمّد سَرْخْ شَهْرَهْ. إنها في الثامنة عشرة من عمرها، وحلوة إلى أبعد الحدود. وهي أيضاً خجولٌ وعطوف، بارّةٌ ومطيعة، طاهرةٌ وعفيفة، بسيطة ومتواضعة. تلبس وتتصرّف بصورةٍ لائقةٍ في الأماكن العامة، تسير في الشارع ونظرُها دائماً إلى الأرض.. لُطفاً، أسدِي إليَّ معروفاً، واطلُبي لي يدَها للزواج .

أجابت الأم بنبرةٍ فيها قلقٌ واضح:

-عزيزي أمير، أنتَ في الحقيقة أكبرُ من أختك بسنتين، وها قد صرتَ على تخوم الأربعين. لم تتزوّجْ من قبلُ لأنكَ أردتَ البقاءَ للاعتناءِ بأُختك، والآن... لماذا تريد الزواج من فتاةٍ في الثامنة عشرة؟ وأنتَ تعرفُ المثل القديم الذي يقول: {الزوجةُ الصغيرةْ، تلفتُ أنظارَ أهلِ الجِيْـرَةْ} . هل تبحث عن الفضائح؟

لكن أمير خان زادَ من صلابة موقفه:

-لكن يا أمي، أنتِ أيضاً تعرفين المثل الذي يقول: {مَن تجاوزَتِ العشرين وهي عذراءْ، تستحقُّ الكثيرَ من الرثاء} . ليس لديّ خيارٌ سوى أنْ أتزوج واحدةً تحت العشرين، كما أنّ الحشمة والحياء ظاهران على مُحيَّاها، فهي ليست من النوع الذي يخون.

فلماذا لا ترتدين ثيابكِ وتذهبينَ لطلبِ يدها اليوم؟

في عصر ذلك اليوم، تأنّقت الأمُّ وارتدتْ أحسنَ ما عندها من ثياب، ثم لفَّت نفسها بالشادور. اصطحبت أمير خان معها، وذهبا إلى بيت العروس المستقبلية.مكتبة سُر مَن قرأ

ظهرت الفتاة بثيابٍ محتشمة، برأسٍ مغطّىً وجواربَ سميكة. دخلتْ حاملةً صينية الشاي وقدّمتْهُ للضيوف باستحياء.

أُعجبَت والدةُ أمير بالعروس المرتقبة، كما أُعجبتِ العروسُ بحماتها المرتقبة. حصلَ أهلُ العريس على موافقة أهلِ العروس، كما أبدتْ عائلةُ العروسِ إعجابَها بعائلةِ العريس. تمَّ تحديدُ موعد الزفاف، وقد اختاروا يوم الأربعاء القادم، وذلك قبل دخول فترة الأعياد الدينية التي كانت على الأبواب، والتي من شأنها أنْ تؤجّلَ العرسَ لمدةٍ تقارب الشهرين. اتّفقَ الطرفان على مهرٍ مُؤجَّلٍ يُدفع في حالِ الطلاق، قدْرُهُ خمسة عشر ألف توماناً. كما اتّفقا بأنْ يتكفَّل أمير خان بتكاليف الزفافِ كاملةً، وأن يُقام الحفلُ في حديقة منزل أهل العروس، التي كانت في الحقيقة أوسَعَ وأحسَنَ وأكثرَ ملائمةً من حديقة بيت العريس .

عادت الأمُّ وابنُها إلى البيت مبتهجَين، فأطلَعا عَلْيَا على الخبرِ السارّ فوراً. من جهتها ابتسمتْ عليا بدهاء، ثمّ تابعت أعمالها إلى أنْ خرجت من البيت خلسةً، وذهبت لتخبر فايزة. عندما سمعتْ فايزة بآخر التطوّرات، اهتاجتْ كأيّ امرأة يرفضُها حبيبُـها، وراحت تضربُ رأسها بالجدار. ثم لكَمَتِ النافذة، فكَسَرَتْ بلَّورها وشجَّتْ

يدَها. وبناءً على اقتراح من عليا، ارتدت شَادُورَها وذهبتْا معاً إلى مزار الشاه عبد العظيم [11]. وهناك أوقدتْ فايزة اثنتي عشرةَ شمعة، ونذرتْ بأنْ تذبحَ كبشاً وتوزِّعه على الفقراء، إذا ما تدخّلتْ أرواحُ الأولياء والصالحين وعرقلَتْ هذا الزواج.

بعد ذلك، مضتِ المرأتان في اتجاه حيّ «دَرْوَازَهْ غَار» الشعبي، لأخذ استشارة الوسيط الروحي مِـيـرْزا مَنَاغْبي، ودفعتْا لهُ ثمنَ السحر الذي من شأنه أنْ يمنع حدوثَ أيّ انسجامٍ عاطفي أو تواشُجٍ عشقيّ بين أمير خان وخطيبته. ومن هناك، أسرعتْا في اتجاه قرية" أورين" الصغيرة، من أجل رؤية العرافة الشهيرة: السيّدة باجي. لقد كانت باجي معروفةً بأنها من أصحابِ الكراماتِ والنُّفُوس النّقيّة، وهذا ما كان يمكّنها من رؤية المستقبل، بعد الاستعانة بكتابٍ مقدّسٍ عتيقٍ موجودٍ لديها. أمعنَتِ العرّافةُ النظرَ في عينيّ فايزة لبضع دقائق، ثم فتحتِ المجلَّد الضخمَ على صفحةٍ غير محدّدة. راحتْ تقرأ من تلك الصفحة:

-موضوعُ هذه العِرَافة: عذراءُ متوسّطةُ الطول والوزن، بشرتُها زيتونيّةٌ رقيقة، وجهُها مستطيلٌ وعيناها صغيرتان، ولها شفتانِ حمراوان كالياقوت.

ذُهلت فايزة وفغرَتْ فاها وهي تسمع هذا الوصف الدقيق لجسمها .

(11). هو الشاه عبد العظيم بن عبد الله الحسني، يُعتبر من كبار العلماء والمحدّثين، ومن أصحاب الإمام عليّ الرضا. [المترجم]

أكملتِ العرّافة:

-قلبُـها ممتلئٌ بالعذاب، عذابِ الحبّ وبُرَحَائه. فلْيَـرْحَمْها اللهُ أرحم الراحمين.

أومأتْ فايزة برأسها موافقةً على ما قالتْه العرّافة، وبدأتْ تشعرُ برابطٍ قويّ ينشأُ ويتعزّزُ بينها وبين العجوز ذاتِ التجاعيد العميقة .

تابعت العجوزُ بصوتٍ أجش:

-ومن أجل إزاحة هذا العشق عن كاهلها؛ يجبُ على العذراء أنْ تخرجَ من بيتها لسبعِ ليالٍ، وتخطو في كلّ ليلةٍ سبعَ خطواتٍ في اتجاه مكة، ثم ترجع القهقرى على أعقابها، وهي ترتّل مع كل خطوة: {اللهمَّ أَعِذْني من الشيطان، واحفظني من مكايد الشيطان} . وعليها بعد ذلك أنْ تغسل قدميها قبل الذهاب إلى السرير، وأن تُبقي قدميها خارج الغطاء أثناء النوم.

احتجّتْ فايزة:

-لكن يا سيدتي! إنّي أحبّهُ وآملُ أنْ يلتئمَ شملي مع محبوبي، فاكتبي لي حجاباً أو اصنعي تعويذةً تُلقي ببذرةِ حبّـي في قلبِ ذاك الرجل.

ضحكت العجوز وقهقهت:

-لكن يا ابنتي العزيزة، ليست لدينا سلطةٌ على القلب وما يهوى. هذا شغلُكِ أنتِ أنْ تنزعي حبَّـها من قلبه. ألا تعرفين ما تقولُ الحكمة القديمة: (مباركٌ الحبُّ المتبادلُ بين العاشقَينْ. أما

الحبُّ من طرفٍ واحدٍ مسكينْ، فلا يجلبُ سوى العذاب إلى أبد الآبدينْ).

شعرتْ فايزة بخيبةٍ أملٍ كبرى، فغادرتِ الغرفة غاضبة، بعدما رمتْ قطعةً نقديةً بازدراءٍ تامّ عند قدميّ العجوز. ابتسمتِ السيدةُ باجي بخبثٍ، والتقطتِ القطعة النقدية ووضعتْها في جرّةٍ فخّاريةٍ صغيرة.

أدّتْ فايزة الطقوس التي نصحتْ بها العرافة لمدّة سبع ليالٍ متعاقبة، وهي تنوح وتئنّ في حالةِ يأسٍ عارم. صارتِ الأفكارُ تأخذُها وتُعيدها، فكّرتْ في أنْ تذهبَ إلى مركز الشرطة وتخبرهم بالقصة كاملة، ثم فكّرتْ في أنْ تقتلَ أمير خان جزاءً له على قتلِ أخته، لكنّ أياً من الخيارين السابقين لم يكن يُرضيها. في النهاية قرّرتْ أنْ تذهب إلى المكان الذي دُفنَتْ فيه مونيس، وفي ليلة الزفاف ذاتها، لكي تدفنَ تعويذةَ تدميرِ الحبّ في القبر، على أمل أنْ تختلطَ قوى السحر مع دماء الضحية، وتشكّلا معاً لعنةً تحُلُّ على أمير خان، وتصيبُه بمكروهٍ ما.

بالاعتماد على مساعدة عَلْيَا التي كانت تشكّكُ في مسرحيّة اختفاءِ مونيس برمَّتها، ذهبتْ فايزة إلى المنزل الخالي في ليلة العرس. فتحتْ عليا البابَ لها، ثم غادرتْ مسرعةً لتلتحقَ بالبقية في حفل الزفاف. توجّهتْ فايزة مباشرةً إلى مكان الدفن، ووسط الظلام الدامس، شرعتْ تنبشُ الترابَ بيديها لتدفنَ التعويذة.

تجمّدَ الدمُ في عروقها حينما سمعتْ صوتاً ضعيفاً ينادي باسمِها،

نظرتْ حولَها باحثةً عن مصدر الصوت، لكن لا يوجد أحد. كان الصوتُ - من دون كثيرٍ من الشكّ- يشبِهُ صوتَ مونيس، مع فارق أنه يبدو مخنوقاً، كما لو أنه صاعدٌ من قاع البئر. ابتلعتْ فايزة ريقها بصعوبة، وضغطت بيدها على قلبها كما لو أنها تمنعه من أنْ ينفجر ويخرج من صدرها. بعد دقائق، استعادت توازنَها من جديد وتابعتْ... لكنها سمعت الصوتَ مرة ثانية :

-فايزة... عزيزتي... لا أستطيعُ التنفُّس .

لكن فايزة لم تُبدِ أيةَ استجابة. ثم سمعت الصوتَ يقول:

-إنني جائعةٌ جداً، وعطشى... عطشى جداً. لم آكلْ شيئاً منذ وقت طويل.

بصورةٍ انعكاسيّةٍ لا إرادية، محمومةٍ ومهتاجة، غرزتْ فايزة أظافرَها في تربةِ القبر وراحتْ تحفر وتحفر، ثم توقفت عندما تكشَّفَ أمامَها وجهُ مونيس المدوّر. فُتحَتِ العينان، ثم بدأتِ الشفتانِ تتحرّكان:

-أختي الغالية، أعطيني شُرْبة ماء.

أسرعت فايزة إلى البركة التي تتوسّط ساحة الدار، حملت بيديها قليلاً من الماء وسارت به إلى القبر. رشَّت الماء على الوجه، ثم واصلت الحفر بأصابعها حتى انكشف وجهُ مونيس كاملاً. حاولت النهوض لكنها لم تقدرْ لولا أن فايزة ساعدتها على ذلك، وجعلتْ تنفضُ الترابَ العالق على ثيابها. تحرّكتْ مونيس في اتجاه البيت ببطءٍ وتثاقل. في ذلك الوقت كانت فايزة قد تجاوزت مرحلة الصدمة

الأولى، لكنها رغم ذلك لم تكن تعرف ماذا تفعل. راحت تمشي خلف مونيس التي توجّهتْ مباشرةً إلى المطبخ، وأخذتْ قدْرَ الطعام المتبقي من الأمس، وشرعت تحشُرُ الطعام بيديها الموحلتين في فمها. أكلتْ نصفَ القدر تقريباً، ثم تحرّكت من جديد نحو ساحة الدار. مشتْ إلى البئر وألقتِ الدلو فيه ليمتلئ بالماء الراكد، ثم سحبتِ الرَّشاءَ بصعوبةٍ بالغة، وراحت تتجرّع الماء بأنفاسٍ متقطّعة. وقفتْ لدقيقةٍ كاملةٍ دون حراك، ثم شرعت تخلعُ ملابسها وهي تغمغمُ بصوتٍ أشبَهَ بقُبَاعِ الخنزير. قفزتْ في بركة الماء، وجعلتْ تفركُ جسدها وتهرشُهُ بعنف. في تلك الأثناء، مضتْ فايزة إلى غرفة مونيس التي تركتْها العائلةُ على حالها، أخذتْ بعضَ المناشف والثياب وعادت بها إلى البركة. كانت مونيس ترتجف من شدة الإعياء، فجفّفتْ نفسها وارتدتْ ملابسها، ثم مشت بتؤدةٍ إلى غرفة الجلوس، ورمت نفسَها على كرسيّـها المفضّل بجانب الراديو. كانت فايزة حائرةً وضائعة في قبضة الخوف، جلست على كرسيّ آخرَ قُبالة مونيس التي بادرتْ بالكلام:

-إذاً، لقد اشتركتِ مع أخي في قتلي؟ يا قليلة الحياء.. وناكرة الجميل..

حاولتْ فايزة أنْ تشرح وتبرّر تورُّطها في القضيّة لكنْ دون جدوى. تابعتْ مونيس كلامها بثبات:

-هكذا إذاً، لطالما اعتقدتِ أنني حمقاء لأنّ وجهي مدوّر!

ردّتْ فايزة بنبرةٍ محتدمة:

- ماذا؟ من قال ذلك؟ !

- أنتِ... أنت يا بنت الحرام!

- أقسمُ بقبر الرسول الكريم إنني لم أفكرْ في ذلك حتى .

قالت مونيس وهي تنظرُ إليها نظرةً راسخةً حادة:

- إيّاكِ أنْ تحاولي خداعي! أستطيعُ قراءة ما يدور في رأسك! أنتِ لم تحسبي أنني حمقاء لأنّ وجهي مدوّرٌ فحسب، بل فكّرتِ أيضاً في أن تستغلّي طيبتي وسذاجتي، وتستخدميني كوسيلةٍ للوصول إلى غايتك، ألَا وهي الزواج من أخي .

- أقسمُ بأرواح الـ...

- اخرسي! ولا تحلِفي أيماناً كاذبة!

أخفضتْ فايزة عينيها إلى الأرض دون أنْ تنبس ببنت شفة .

- والآن انظري إليّ، وسوف ترين أنّ وجهي لم يعد مدوّراً مثلما كان، بل صار مستطيلاً.

رفعتْ فايزة عينيها ببطء، فرأتْ ما أدخلها في حالةٍ من الفزع والتشوُّش الذهنيّ. وبالفعل، فقد استطال وجهُ المرأة حقاً وصار يشبه وجه الفَرَس. أحسَّت فايزة كما لو أنها مصابةٌ بالهذيان والحمّى، وتمنّت لو كانت مشلولة أو عمياء أو طرشاء .

- ليس وجهي وحده الذي صار طويلاً، بل كذلك بؤبؤا عينيّ.

نظرتْ فايزة وهي ترتجف ذعراً إلى عيني مونيس، وكان واضحاً أنّ بؤبؤي عينيها قد اتّخذا شكل الـمُعَيَّـن.

-لم يصبحا أطولَ فحسب، بل صارا حمراوين كذلك.

بينما كانت مونيس تتكلّم، لمحت فايزة وميضاً أحمرَ شريراً ينبعثُ من عينيها. حافزٌ ما دفعَها إلى النظر إلى قدميّ مونيس، كما لو أنها تتوقّع أنْ ترى حوافر.

-لا...ليست لديَّ حوافر.

قالت مونيس، ثم أطلقتْ ضحكة شيطانية.

فايزة، المصعوقة من هول الصدمة، كادتْ تهمُّ بالمغادرة. لكن مونيس أوقفتْـها بصوتٍ زاعق:

-كفاكِ تمثيلاً! ثمة جانبٌ وسخٌ في شخصيّتك! مع ذلك، فقد قرّرت أنْ أترك البيت وأعيش معك. أريد أنْ أؤسِّسَ منظمةً وأجعلَ أخي عبرةً لمن يعتبر، لكي يرتدع الإخوةُ الآخرون عن قتل أخواتهم. في الحقيقة، لستُ شخصاً شريراً، لكن تذكّري أنني أعرفُ كلَّ الأفكار التي يمكن أنْ تدورَ في عقلك الصغير. هل فهمتِ؟

-نعم... بالطبع...

-كانت لدى جدتي-رحمها الله- قطّةٌ علِقتْ بين المفارش الملفوفة في غرفة النوم لمدة أربع وعشرين ساعة، وعندما أخرجوها، كانت نحيلة وطويلة وكأنها كتاب. بعد ذلك راحتْ

تُتْخِمُ نفسَها بالطعام حتى انتفختْ وماتتْ. عندما خرجتُ من ذلك القبر، شعرتُ بما شعرتْ به تلك القطة. لديّ إحساسٌ بأنّ روحها قد تقمّصتْ في جسدي.

-بالفعل، إنّ ملاحظتك صحيحةٌ على الأغلب، فها قد اتّخذتْ عيناكِ الشكلَ السِّنَّوريّ، وصارت ملامحُ وجهكِ أقربَ إلى تقاطيعِ وجه الفَرَس.

احتجَّتْ مونيس بحدّة:

-أيُّ نوعٍ من هُراء الكتبِ الغثّة هذا؟! لقد كنا صديقتين قبل بضعة أسابيع فقط، وبالرغم من أنكِ كنتِ تظنينني غبيّة وبلهاء، إلا أننا كنا صديقتين حقاً. ولهذا.. تكلّمي بشكلٍ طبيعي.

-حاضر.

-بالإضافة إلى ذلك، فقد قرأتُ ذاك الكتاب عن الرجال والنساء، ولم يعُدْ بإمكانك أنْ تحسبي أنكِ تعرفينَ أكثر مني. هل فهمتِ؟!

-نعم.

-فوق ذلك، أريدكِ أن تعرفي أنّ بارفين طاهيةٌ أحسنُ منك، هذا هو رأيي الصريح والمعتبَر. هل تفهمين؟

شعرت فايزة بغصّةٍ عملاقةٍ تنتفخُ في حلقها، امْتُقِعَ لونُها، وبَدَتْ عليها علائمُ انكسارِ القلب. حتى أنّ مونيس ذات الوجه المدوّر سابقاً، أحسَّتْ بمسحةٍ من الشفقة تجاهها، فقالت على سبيل المواساة:

-بالتأكيد إنّ طبخك ليس سيئاً، لكنّ طبخها أفضل.

سألتْـها فايزة لكي تغيّر الموضوع:

-وماذا سوف تفعلين الآن؟

-إنني أنتظرُ عودةَ العروس والعريس فقط.

بعد بضع ساعاتٍ وصل المحتفلون، بما فيهم أهلُ العروسين ومجموعةٌ كبيرةٌ من الأقارب والأصدقاء المقرّبين، وهم في حالةٍ عاليةٍ من السُّرور والمرح. كانوا يصيحونَ ويغنّون بصوتٍ صاخبٍ فَرِحينَ وجذلانين. وكما تقتضي الأعراف، فقد قاموا بإرشاد العروس- التي تظاهرتْ بالتمنُّع- إلى مخدع الزوجية. أما العريس الذي كان ثملاً إلى درجةِ أنه قد لا يقدِرُ على فعلِها، فكان يسير وراءها.

فجأةً صرختْ عَلْيَا بصوتٍ يثقب الآذان، ثمّ هَوَتْ على الأرض مغشيّاً عليها، فقد رأتْ مونيسَ واقفةً في زاوية الردهة ترقبُ الحشد في صمت. لاحظَ الحاج سَرْخْ شَهْرَهْ وجودَها، فسأل دون أنْ يوجّه سؤاله إلى شخصٍ محدّد:

-من تكون تلك السيدة؟

-مونيس! ابنتي!

صاحتِ الأمُّ من هَوْل المفاجأة، لا كجوابٍ على سؤاله.

لم تنبسْ مونيس ببنت شفة. شقّتْ طريقها وسطَ الحشد متّجهةً إلى مخدع الزوجين، وضعتْ يديها على الباب وراحتْ تلمسُهُ برقّة. وبالرغم من أنهُ كان مُقفلاً من الداخل، فقد فُتِحَ البابُ ببطءٍ وبشكلٍ

يكفي لدخولها، وأُغلِقَ من بعدها .

أمير الذي بالكاد يستطيع الوقوف على قدميه، كان يترنّحُ في زاوية الغرفة وهو يخلع ملابسه. أما العروس التي بَدَتْ مُحرجةً وخجلى، فكانت واقفةً في الزاوية الأخرى وتفعلُ الشيء ذاته. عند سماعهما صوتَ صفعةِ الباب، التفتْ كلاهما وشاهَدَا مونيس واقفةً في وسط الغرفة. ارتبكتِ العروسُ عند رؤيةِ تلك المرأةِ الغريبة إلى درجةِ أنها ما عادت تقدرُ على قولِ أيّ حرف، أما أمير فكادتِ الصدمةُ أنْ تُوقِفَ قلبه. استطال وجهُ مونيس أكثر، وضاقت عيناها حتى صار شكلُهُما طُولانياً. ثم قالتْ لأخيها:

-توقَّفْ عن اللعب! تقدَّمْ إليَّ إذا كنتَ رجلاً.

مشى أمير نحوها وكأنه مدفوعٌ من قوّة خفيّة.

-أيُّــها الحقيرُ البائس... لماذا أنتَ ثملٌ إلى هذه الدرجة؟

-ما الذي يمكنني قولُه؟ أنا...

-إذاً، ها قد تزوّجتَ فتاةً في الثامنة عشرة، لأنها طاهرةٌ وعفيفة، ولم يلمسْها أحدٌ من قبل؟

-نعم.

التفتتْ مونيس نحو الفتاة:

-وأنتِ؟ ألم تحمِلِــي السنةَ الماضية من ابن عمّك؟ أَوَلَمْ تُجهِضي الجنينَ عند السيدة فاطمة أيضاً؟

فقدتِ الفتاةُ اليافعة توازنها، لكن مونيس التقطتْــها قبل أنْ تنهار

أرضاً، وقالتْ لها:

-كُفّيْ عن هذهِ الخِدَعِ المسرحيّة! لقد كان هذا اقتراحَ السيدة فاطمة بكلّ تأكيد؛ أنْ تجعلي أخي الأحمق يشرب ويشرب ويشرب... حتى يذهبَ عقلُه ولا يحسَّ بما يجري بعد ذلك. أليس صحيحاً؟

دون أن تنتظر إجابةً منها، التفتتْ مونيس إلى أمير وقالت :

-وأنتَ أيها الوغد! يجب عليكَ الآن أنْ تعيش معها وترضَى بها رغماً عنك. إذا رفعتَ يدكَ عليها ذات يومٍ أو آذيتها بأيّ شكلٍ من الأشكال؛ فإنني سأعودُ إليكَ وألتهمُك بالكامل. هل تفهم؟

أومأ أمير برأسه كإشارةٍ على موافقته، ثم تابعتْ كلامها إلى الزوجين الواقفين أمامها دون حراك:

-أنا ذاهبةٌ للعيش مع فايزة. تلك المسكينة، صحيحٌ أنها مغرورة بنفسها أكثر من اللازم، لكنها على الأقلّ عذراء، أما هذه فلا. هذا ما يحدثُ للرجال الحمقى! لكنْ وكما قلتُ لكَ قبل قليل؛ إذا آذيتها في يوم من الأيام، فإنني سألقّنكَ درساً لن تنساه طُولَ عمرك.

غادرتِ الغرفة وعَبَرتِ الرُّدهة ذاهبةً إلى غرفة الجلوس. تبِعتْها عَلْيَا التي استعادتْ وعيَها قليلاً، وكذلك أمُّها وبقيةُ الضيوف. أراد الحاج سَرْخْ شَهْرَهْ أنْ يفهم لماذا لم تكنْ أختُ العريس موجودةً في حفل الزفاف، لكن أمها كانت تتهرّب منه، فهي لم تكن تستطيعُ التحدّث عن ذلك أمام الضيوف. بالإضافة إلى أنها كانت تكتمُ

خوفاً داخليّاً، طارِئاً ومُلتبِساً، من ابنتها.

نادتْ مونيسُ فايزة التي كانت في غرفة الجلوس:

-أختاهُ! هيّا نذهبْ إلى «كَرَج».[12]

توسَّلتْ عَلْيَا إليها:

-أووووه! أرجوكِ خُذيني معكما.

-في وقتٍ آخر.. في وقت آخر..

وقفَ الحشدُ صامتاً وحائراً، بينما شقَّتِ المرأتانِ طريقَهما وسْطَ الجموع في اتجاه باب البيت، ثم اختفتا في سَوَاد الليل.

---

(12). كَرَج (تُلفَظ: Karaj): مدينة تقع في جبال البُرْز على بُعد 20 كم غرب طهران. يعود تاريخها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، ولها أهمية خاصة عند أتباع الديانة الزرادشتية إذ تضمُّ أقدمَ معابدهم. شهدتْ تطوّراً في عهد الصفويين والقاجاريين فشُيّدت فيها القصور والأبنية التاريخية. كانت حتى الخمسينات من القرن الماضي -زمن الرواية- المصيفَ الرئيسيّ للأغنياء والميسورين من أهل طهران، أما اليوم فقد باتت مدينة صناعية كبرى. [المترجم]

السيّدة فرّوخ صدر الدين غُلْ شَهْرَهْ

كانت فرّوخ[13]في الواحدة والخمسين من عمرها، محافظةٍ على جمالها وأناقتها المعروفين اللذين تحاول بها بلوغ الكمال. كانت تسترخي على كرسيّها الهزّاز - ذي الطراز الأمريكي- على شرفة منزلها. كان ذلك في منتصف الربيع، وكان الهواءُ عابقاً بالعبير المنبعث من أزهار الليمون. أغمضت عينيها وركّزت جُلَّ تفكيرها على ذلك العبير. تذكّرت فجأة، أنه لو كان والدها حيّاً، لكانت رأتْهُ الآن في ركن الحديقة، مُنحنياً على أُصُص الورد التي يهوى الاعتناء بها. لقد توفّي قبل عشر سنوات، لكنّ حضوره ما زال طاغياً كما لو أنه قد توفّي البارحة فحسب. قال لها قبل يومين من وفاته:

-لديّ الكثيرُ من التحفّظات حولَ هذا الرجُل.

غلبتِ الذكرياتُ القادمة من أبيها على تركيزها الداخلي فشوَّشَتْهُ، رفعتْ يديها ووضعتْهما على وجهِهَا كما لو أنها تمنعُ الذكرياتِ من الدخول إلى رأسها. كم هو محزنٌ وكئيبٌ أنْ يُفكّر الإنسان بالموتى!

---

(13). بالفارسية: فَرُخ لَقَا، وتعني الوجه الجميل. [المترجم]

كان السيّد غُلْ شَهْرَهْ في الغرفة، يعقدُ ربطةَ عنقهِ أمام المرآة الطويلة التي يرى في انعكاسها جزءاً من الحديقة والشرفة التي تجلس عليها زوجته، وهي تتمايل برفقٍ على كرسيّها الهزّاز. كان يستغرق وقته كاملاً وهو يشاهد انعكاسَ زوجته في المرآة، إذ لم يكن يحبُّ المواجهات المباشرة معها، ففي حالاتٍ كهذه، يُكشِّرُ بازدراءٍ في وجهها، ويمتلئُ قلبه بالكراهية الشديدة تجاهها. أما في غيابها، أو كما هو الآن حين يرى انعكاسها في المرآة، فيشعرُ بحنانٍ غامرٍ تجاهها، ويحبُّـها أكثرَ من أيّ شيءٍ أو أيّ شخصٍ على وجه الأرض. وكأنّ هنالك صرخةً تنطلقُ من داخله، صرخةَ استياءٍ عمرُها ثلاثون عاماً، تستيقظُ عندما يقتربُ الزوجان من بعضهما.

أحبّتْ فرّوخ أنْ تتمطّى وهي جالسةٌ على الكرسي، مدَّتْ ذراعيها إلى أعلى وقوَّسَتْ ظهرها إلى الخلف، فشعرَتْ باسترخاءٍ لذيذ. لكنّ ذلك ذكّرها بـ «**فيفيان لي**» في فيلم «**ذهبَ مع الريح**»، ذكرها بالمشهد الذي تتمطّى فيه وهي في غرفة النوم. أخذها التفكيرُ بـ «**فيفيان لي**» إلى مكانٍ آخر، إلى لقائها الأوّل مع فخر الدين آزاد، وكان ذلك في المأدبة التي أقامها الأمير [14] في إقطاعيته الواقعة في شميرانات. كان وقتئذٍ عائداً من أمريكا للتوّ، حاملاً معه العديد من الصور المثيرة وتسجيلاتِ الفيديو التي صوَّرها في نيويورك، وكان يعرضها على الضيوف في الحفلات. سبقَ لـ فرّوخ أن زارت نيويورك ثلاث

---

(14). الأمير: لقب يُمنح للمنحدرين من سُلالة قاجار (أو القاجاريين)، وهي سلالة شاهات حكمت بلاد فارس منذ عام 1779 وحتى 1925، وكان آخر ملوكها الشاه أحمد ميرزا الذي حكم ما بين عاميّ 1909 و1925. ثم خلَعه رئيسُ وزرائه رضا خان بهلوي، وحكمَ البلاد متّخذاً لقبَ الشاه لنفسه. [م]

مرّات، لكنّ المدينة في الواقع لم تكن بجمال المدينة التي صوَّرها فخرُ الدين بعدسته. في سرّها، كانت تضعُ اللّوم على زوجها، إذ كان ينزل إلى بهو الفندق في التاسعة صباحاً، يتناول الفطور، ويخرج ليتسكّع قليلاً في المقاهي والأماكن العامّة. ثمّ يعود إلى الغرفة ليأخذ قيلولةً، بعد ذلك يجلس في انتظار مضيفهم، السيّد انتظامي، ليأتي ليلاً ويأخذهم معه إلى مطعم ما، أو دارٍ للسينما، أو ملهىً ليليّ.

الآن، عندما أنهى الزوجُ عقدَ ربطةِ عنقِهِ، صار يبحث عن عذرٍ آخر لكي يُطيل فترةَ وقوفه أمام المرآة. فكّر في أنْ يحلق ذقنه، فهذا سوف يمنحه نصفَ ساعة إضافيةٍ من البقاء في موقع السُّلطة. ذهب إلى الحمّام وأحضر أدوات الحلاقة والمنشفة، ثم بدأ طقسَ الحلاقة بتروٍّ وتأنٍّ مبالغٍ فيه، بينما كانت زوجتُه تنتظر بفارغ الصبر أن يُنهي ما يقومُ به ويغادر البيت. منذ تقاعده، صارت لدى غُلْ شَهْرَهْ عادةٌ جديدة، وهي الخروج في نزهة يوميّة بعد الظهر. كان يمشي لمدة ساعتين في أرجاء الحي، ثم يتوقف عند المقهى المحلّي لقراءة الصحف. كانت زوجته تنتظر غيابهُ بشوقٍ وتلهّف لكي تستطيع الحركة بحريّة، فأثناء وجوده في البيت، تشعر بأنها مقيّدةٌ ومصابةٌ برُهابِ الاحتجاز، وأنها بحاجةٍ لأنْ تخفي نفسَها في إحدى الزوايا لكي تتجنّب أيَّ تواصُلٍ معه. لقد تعلّمت خلال ثلاثٍ وثلاثين سنةً من زواجها، أنْ تكون خاملةً أثناء وجوده في المنزل، ثم تشعر -بشكلٍ فطريّ وتلقائي- بحيويّة ومرحٍ عند غيابه. في سالفِ الأيام، عندما كان غُلْ شَهْرَهْ يعملُ لمدة ثماني ساعات في اليوم -وبالرغم من أنه يأتي إلى البيت لتناولِ الغداء وأخذِ قيلولة- فقد كانت أكثرَ نشاطاً وطاقةً، حتى أنها

تلقّتْ دُرُوساً في الغناء. أما منذ تقاعده، فقد فقدت ديناميَّـتها بالكامل. ليس لأنّ الرجل يمكثُ في البيت طُولَ الوقت فحسب، بل لأنه كان دوماً في طريقها. لم تكن لديه أيُّ رغبةٍ في التسلية بأعمال الحديقة، أو في إصلاح ديكوراتِ الجبسِ التي تُزيّنُ سقف غرفة الضيوف، والتي باتت في حالٍ بائسةٍ وتحتاج إلى ترميم. كان دوماً في ثياب النوم، مُتكاسلاً على كرسيّه الجلديّ. وفي أغلب الأحيان، كان يغيظُ زوجته بإسماعها نُكاتٍ لا لونَ لها ولا طعم.

اقترحت فرّوخ:

-بإمكانكَ أنْ تحلقَ في الحمّام، لكيلا تبلّلَ سجّادة غرفة النوم.

غمسَ غُلْ شَهْرَهْ الفرشاةَ في وعاءِ الماء ببطءٍ، واعتبرَ ما سمعَهُ سُخريةً منهُ، فأجاب:

-اخرسي! أيتها السيدة النبيلة!

عضّتْ فرّوخ على شفتيها وأشاحتْ وجهَهَا عنه، إذ لم تكن تريد أنْ تبدأ شجاراً معه. اخترقتْ كلماتُهُ رأسَها مثل قذيفةٍ متفجّرة، جعلتْـها تُسرِعُ بالبحث عن مخرجٍ لها، ولقد وجدتِ المخرجَ عندما فكّرتْ بـ فخر الدين آزاد، فلطالما كان التفكيرُ به ملاذاً تلجأُ إليه في لحظاتِ الضيق والخناق.

في تلك الليلة، عندما التقتْ به إثر عودته من أمريكا، كانت تقفُ في الرِّواق تحت شجرةِ خرنوب. حينها، اقتربَ منها وقال مندهشاً:

- «فيفيان لي».

استدارت إلى الوراء ونظرت إليه. ما زالت إلى اليوم تتذكّرُ تلك الشفتين الشهيّتين مثلما رأتهما لأوّل مرة، بالرغم من أنها قبّلَتْهما -بعد ذلك- مرّاتٍ ومرّات. لكنّ تذكُّرِ منظرِ تلك الشفتين المنحوتتين بإتقان، وهما تضغطان على بعضهما بعضاً، كما لو أنّهما تُخفيان الوميضَ المنبعثَ من أسنانه البيضاء الرائعة، كان مشهداً يتردَّد في خيالها على الدوام.

يومها قالت لكي تبدو متفاجئة:

-هل تتكلم معي؟

-نعم، أنتِ، أنتِ أختُ "فيفيان لي" الصغيرة الحلوة. التشابُهُ بينكما لا يُصدَّق!

أرادتْ أنْ تلتفتَ وتنظرَ إليه من زاوية عينها، وهي حركةٌ تعلّمتها من أمها، لكنها لم تقدرْ على فعل ذلك. في الحقيقة كانت متوتّرةً وخائفةً بعض الشيء، وهي ترى شفتي فخر الدين المكتنزتين... تبتعدان عن بعضهما قليلاً... لترسُمَا ابتسامةً خلّابة.

خاطبها بشكلٍ مباشرٍ رافعاً الكلفة بينهما:

-فرّوخ، صدّقيني، أنتِ تزدادين جمالاً يوماً بعد يوم، هذا أمرٌ لا يُصدّق!

عند ذلك استعادتْ رزانتَـها واتّزانَها بما يكفي لتدير رأسها من فوق كتفها الأيسر، وتنظر إلى الرجل من طرف عينها. علَّقتْ:

-لكنكَ لم تَرَني منذ عشر سنوات.

سألَها مستغرباً:

-كيف تقولين ذلك؟ هذا غيرُ ممكن أبداً!

-إذاً، أين رأيتَني؟

-هنا!

قال فخر الدين وهو يضربُ بكفّهِ على قلبِهِ عدّة ضربات. ثم أضاف:

-لماذا تزوّجتِ؟

-كان ينبغي ألّا أفعل؟

-وهل كان يجب عليكِ أنْ تفعلي؟!

كانت فرّوخ مرتبكة، فهي لم تعِدْهُ بأيّ شيءٍ من قبل. إذ كانت في الثالثة عشرة من عمرها حينما سافر إلى أمريكا، وهي لا تذكُرُ أنها كانت تُكِنُّ لهُ أيَّ مشاعر في ذلك الوقت.

قالتْ وهي تهزُّ كتفيها بلا مبالاة:

-هذه هي الحياة، الناسُ يتزوّجون.

قال مع ابتسامة:

-حتى أنتِ أيضاً؟ أنتِ امرأةٌ جمالُها استثنائي، ليس لديكِ الحقُّ بأنْ تتزوّجي. إذ يجبُ عليكِ أنْ تمنحي كلَّ رجال العالم فرصةَ أنْ يُمتِّعوا أعيُنَهم بمرآكِ الجميل.

جعلَها التعليقُ تضحك، ثم خشيَتْ بعضَ الشيء من أنْ يكون قد

انزعجَ بسبب هذه الضحكة. لكنه لم يفعل، إذ قال وهو يسير نحوها بخطٍّ مُقوَّس:

-البسي دائماً ثوباً أزرق، إنهُ يليقُ بك كثيراً.

فجأة، هبطَ السيّد غُلْ شَهْرَهْ من العالم الآخر، وأقحمَ نفسَه بينهما. كان -بالكاد- يصلُ إلى كتف فخر الدين، وكان يحتفظُ طُولَ الوقت بتكشيرته المزعجة ونظرته المرتابة، وهي مصدرُ الإزعاجِ الدائم لزوجته خلال سنوات زواجهما الأربع الأولى.

-كنتُ أحدّثُ السيّدة عن فيلم "ذهبَ مع الريح "، لقد افتُتِحَ قبل أيام من عودتي إلى هنا. أنتَ لا تعلمُ كم تكبّدتُ من مصاعبَ حتى حصلتُ على تذكرةٍ لحضور الفيلم، كان عليّ أنْ أحجزَ دوراً في طابور الانتظار منذ الخامسة صباحاً. وكنتُ أخبرُها عن الشبَه الكبير بينها وبين «فيفيان لي»، بطلة الفيلم.

كلُّ ما يُمكن أنْ يخرُجَ من غُلْ شَهْرَهْ في حالاتٍ كهذه هو الخواء، فقال مع تكشيرته البغيضة المعتادة:

-آه... حقاً؟

كانت لديه الفطنةُ الكافيةُ ليعرفَ أنه ليسَ الرجُلَ المفضَّل لدى فرّوخ.

نصحَهُ فخرُ الدين:

-يجب أنْ تشاهده حتماً عندما يُعرَض هنا. إنه تحفةٌ عظيمة في عالم صناعة الأفلام، وهو الفيلم الأكثرُ تكلفةً حتى اليوم.

عادا إلى البيت في تلك الليلة بسيّارةِ عمّها، ولأنّ غُلْ شَهْرَهْ يخافُ من هيبةِ العمّ ووِقاره، فقد ظلّ صامتاً طُول الطريق. ترجَّلا من السيارة عند نهاية الوادي، وودَّعا العمَّ الـمُسنِّ بلباقة، ثم مشَيَا جنباً إلى جنبٍ صوبَ البيت. ظنّتْ فرّوخ أنّ زوجها سيذهبُ إلى السرير مباشرةً، ويتركها وحدَها لكي تستمتعَ باسترجاعِ أحداثِ ذاك المساء. لكنّ ذلك لم يحدث، فمنذ اللحظة التي ترجَّلا فيها من السيارة، ابتدأ الزوجُ مُوشَّحاً من التعليقات المتهكِّمة حول ذاك "الغُلام"، وذائقته الرخيصة في الأفلام، وصوره الفوتوغرافية السخيفة. وكذلك عن عَمْرَةِ الرّأسِ ذاتِ الرّياش التي يضعُها الهنُودُ الحُمر، والتي جلَبَـها معهُ من أمريكا، فأرادَ الضيوفُ جميعُهم -بمن فيهم فرّوخ نفسُها- أنْ يلتقطوا صُوراً وهم يعتَمِرُونها. كلُّ ما استطاعتْ فرّوخ قوله حينذاك، وبصوتٍ تخنقُه غصّةٌ كبيرةٌ في الحلق :

-اخرسْ!

كان الأثرُ الوحيدُ لما تفوَّهتْ به فرّوخ على زوجها، هو أنّه نقلَ محلَّ انتقادِهِ اللاذع إليها، فبدأ من ثوبها الأزرق الذي وصفَهُ بالبشع ورخيص الذائقة، وأضافَ أنه قد أزعجَ أنظارَ الجميع. وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل، أحضرَ بطّيخاً أحمرَ من قبو المنزل وراح يلتهمُه بنَـهَم، مُصِرّاً على أنْ تُشاركه في الأكل. قَبِلَتْ فرّوخ على مضض، وعلى أمَلِ أنْ يذهب إلى النوم، ويترك لها قليلاً من الوقت لكي تلتذّ بذكرى لقائها مع فخر الدين .

بعد انتهائه من البطيخ، أشعلَ غُلْ شَهْرَهْ الراديو، مُتنقّلاً بين

فتراتِ البثِّ بالفارسية في محطّاتِ لندن وبرلين وموسكو، لكي يبقى على اطّلاعٍ كاملٍ على ما يجري في العالم.

أخيراً، وفي الساعة الثالثة فجراً، صعدَ إلى السرير، وطلبَ منها أنْ تؤدّي ما سمّاهُ واجباتها الزوجيّة. استسلمتْ فرّوخ بشكلٍ أوتوماتيكيٍّ إلى مُداعباته التي ما كانت تُطيقُها. وهكذا صارت الساعة الرابعة فجراً، عندما عبَّـرَ عن رغبته في الذهاب إلى الحمام، لكي يغتسِلَ استعداداً لأداءِ صلاة الفجر، وهو شيءٌ نادراً ما كان يفعله.

منذ تلك الليلة فصاعداً، صارتْ فروخ تشعرُ باشمئزازٍ راسخٍ وعميقٍ ومستمرّ تجاه زوجها.



بعدما أنهى الحلاقة، بدأ غُل شَهْرَهْ يجمعُ أشياءه لكي يُعيدها إلى الحمّام. لم يكن يعرف لِمَ كان متثاقلاً وكسولاً في ذلك اليوم، كما لو أنه يحاول اجتناب أمرٍ مشؤومٍ سوف يقع، لكنه لم يكن يعرف ما هو.

قُرِع جرسُ الباب، فأسرعَ الخادم مُسَيَّب لكي يفتح الباب. رفعتْ فرّوخ عينيها لترى مَن القادم، بينما جاء زوجها إلى الشرفة وتوقّف خلف كرسيّها بقليل. تبادلا نظراتٍ تشي بنُفُور كلٍّ منهما من الآخر.

قال غُلْ شَهْرَهْ عرَضَاً وجُزافاً، كما لو أنه يعبّر عن فكرةٍ عشوائية قفزتْ في ذهنه:

-سوف تبلغين الواحدة والخمسين في الشهر القادم، سوف

تدخلين في سنّ اليأس يا عزيزتي.

حدّقتْ في وجهه لبضع لحظات، وهي تعرف تماماً أنه يتقصّد جرحَها وإيلامها. ثم قالت كمَنْ يبثُّ السُّمّ:

-اصغ إليّ يا صدري، إذا كنتَ تحاول أنْ تمزح معي، ففكّرْ في ذلك جيداً.

اعترضَ هازئاً:

-أنا لا أمزح، سنُّ اليأس ليس مزحة.

عاد مُسيَّب من الباب حاملاً معه الجريدة ووضعها عند قدميّ فرّوخ، وقبل أنْ يغادر قال إنه يريد الذهاب إلى أحد الجزّارين في "كَرَج"، لكي يشتري اللحم من أجل سهرة يوم الجمعة .

التقطتْ فرّوخ الجريدة وقالت وهي تنظر إليها :

-أتمنى لو كانت لدينا مزرعةٌ في «كَرَج» .

سأل زوجُها وهو يحاولُ إخفاءَ ضحكةٍ خبيثة:

-هل تعتقدين أنّ لديك الطاقة لأنْ تتجوّلي في أرجاء المزرعة وأنتِ في سنّ اليأس؟

ردّتْ عليه بحسمٍ وغضب:

-وهل تظنّ أنكَ تريدُ أنْ تنجب طفلاً وأنتَ في هذا العمر؟ أليس هذا هو السببُ الذي يدفعك لتفتح موضوعَ سنّ اليأس؟

-ربما.. ربما أريد أنْ أنجب طفلاً وأنا في هذه السنّ. لكنّ هذا

لم يعد ممكناً مع حضرتكِ يا صاحبة الجلالة!

اغتاظتْ جداً:

-حسناً إذاً، حسناً، يُمكنك أنْ تأتي بخادمةٍ شابة إلى البيت. لطالما كانت لديكَ مثلُ هذه الأفكار السافلة.

عادت لقراءة الجريدة متجاهلةً إيّاهُ تماماً، مدَّ غُلْ شَهْرَهْ يدَهُ وانتزعَ منها الجريدة التي تخلّتْ عنها دون ممانعة، وعادت لتسرحَ بأنظارها في الحديقة تحتها. مُسيَّب الذي جهّزَ نفسه للقيام بأعمال التسوّق اليومية، صاح من الحديقة:

-هل تريدين شيئاً آخر؟

-إذا وجدتَ لوزاً أخضرَ... أحضرْ قليلاً.

كان غُلْ شَهْرَهْ مستنداً على حافة النافذة، يتصفّح الجريدة. بينما كانت فرّوخ تتساءل لماذا لم يخرج في نزهته المعتادة؟ كانت تتوق إلى مغادرته لكي تعودَ وتستغرقَ في ذكرياتها القديمة. تذكّرتْ ذاك اليومَ عندما قاموا بواجب زيارةِ زوجة فخر الدين الأمريكية، إذ تبعتْ زوجها بعد عودته من أمريكا بستّة أشهر، مع ولديها تيدي وجيمي. كم كان هذان الاسمان غريبين آنذاك! تذكّرتْ كم كانت حائرةً ومتوتّرةً طُولَ اليوم، فقد لفَّتْ شَعرها وجعلته متموّجاً، واختارت ثوباً أبيضَ مزيناً بورودٍ زرقاء، بينما كان زوجُها -بتكشيرته الهازئة المعتادة- يشاهدها وهي تتبرّجُ وتصفّفُ شعرها. كما أنها أمضتْ وقتاً جيداً في ارتداء جواربها النسائية، لكي تتأكّد بأنّ درزةَ الجورب تمتدُّ إلى الأعلى بخطٍّ مستقيم. وفي نهاية الأمر، كانت راضيةً عن مظهرها

حينما رمقتْ نفسها في مرآة الرُّدهة الضخمة.

لم تكن قد شاهدت امرأةً أمريكية من قبل، لكنها اهتمّتْ بالأمر كما لو أنها ستشاركُ في فيلم «**ذهبَ مع الريح**». بالمقارنة مع «**فيفيان لي**»، لم تكن تعتبرُ نفسَها أقلَّ شأناً، رغم أنها لم تكن ترى ذلك الشَّبَه بينهما. لكنْ لا بدّ أنّ هنالك شَبَـهاً ما، طالما أنّ فخر الدين قال ذلك.

كان فخر الدين وعائلته مقيمين عند أقربائهم، ريثما يتم تحضيرُ مكانِ إقامتهم في الجانب الشمالي من إقطاعيّة العائلة. كانت المرأةُ الأمريكيّة واقفةً عند مدخل قاعة الاستقبال الواسعة، تصافحُ الضيوف الواصلين. لم تكن تعرفُ الفارسيّة، ولذلك كانت تستقبل الضيوف بالابتسامة فقط. كانت امرأةً طويلة وشقراء، يداها مزيّنتان بالعُرُوقِ والنَّمَش. وكان لونُ عينيها أزرقَ فاتحاً، كان فاتحاً جدّاً إلى درجة أنه يمكن القول إنّ عينيها من دون لون، لولا مسحةُ الزُّرقةِ الطفيفة. بالطبع كان فخر الدين مولعاً باللون الأزرق! صافحتْ فرّوخ تلك المرأة وتابعتْ طريقها إلى الداخل، حيث وقفتْ أمام مرآة ضخمةٍ وحدّقتْ في عينيها السوداوين، وفي الزهور الزرقاء المتناثرة على فستانها الأبيض. ثم استرقتْ نظرةً خاطفةً إلى وجهِ فخر الدين المنعكس في المرآة، عندما عبرَ في مكانٍ ما... وراءها...

لماذا تزوَّجتَ؟ وجَّهتِ السؤالَ لصورتهِ المنعكسةِ في المرآة بنفسِ الروح واللهفة اللتين ألقى بهما السؤالَ ذاته عليها قبلَ فترةٍ وجيزة. في خيالها، رأتْهُ حزيناً وسمعتْهُ يقولُ لها:

-البسي ثوباً أبيضَ مُزيناً بورودٍ زرقاء دوماً، إنه يليقُ بكِ

كثيراً.

سارعَ فخرُ الدين للانضمام إلى زوجته عند خطّ الاستقبال، لكنهما صادَفَا بعضَهما بعضاً عدّة مراتٍ خلال تلك الليلة، ومن غير قصد، كما لو أنّ قوةً خفيّة تدفعهما إلى ذلك.

بعد سنوات مضتْ، وتحديداً على الترّاس في فيلا الأمير، قامت فروخ بإخبار عديلة حول هذه العلاقة. كانت عديلة امرأة طيبة، وقد بذلتْ جهوداً حثيثةً لفهم هذه الحالة، وأبدتْ تعاطُفها مع فروخ من حيث استسلامها للعشق، وكذلك انتقادها لسلوك غُلْ شَهْرَهْ البغيض.

كانت هنالك شائعةٌ منتشرة بين معارفهما، تقول إنّ عديلة على علاقةٍ غراميّة مع الأمير. وقد فتحتْ فرّوخ السيرة بشكلٍ يشجّع عديلة على أنْ تتطّرق لموضوعِ علاقتها بالأمير، ونجحتْ الخطّة فعلاً، لأنّ عديلة باحتْ لها بكلّ أسرارها بعينينِ تغرورقانِ بالدمع، مما ساهم في توطيد العلاقة بين المرأتين.

كانت فرّوخ تخبرها عن حبّها:

-استمرّ ذلك لمدة ثماني سنوات... ثماني سنوات مجنونة.

أشارتْ عديلة إلى نقطة:

-إذاً، كنتُما عاشقين طُولَ سنوات الحرب، هذا من حسن حظّكما!

الآن، وهي على الشرفة، شابكتْ فرّوخ يديها خلف رأسها، تمطّتْ

وتثاءبتْ، ثم قالت بصوتٍ عالٍ:

-ثماني سنواتٍ من الحرب!

أحسَّ غُلْ شَهْرَهْ بانزعاجٍ شديد من كلامها، دون أنْ يعرف ما السبب، فقال:

-في سنّ اليأس، هل تُعاني النساء من تقلُّباتٍ عاطفية أيضاً؟

-لا أعرف.

-لا بدَّ أنْ يكون ذلك، ولهذا فقد سُمِحَ بتعدُّد الزوجات، وذلك لكيلا يُرغَم الرجلُ على أنْ يحتملَ امرأةً مُنقطعةَ الطمث في سريرِهِ حتى آخرِ يومٍ في حياته .

-ربما.

تذكّر غُلْ شَهْرَهْ تلك اللاجئة البولندية التي التقاها في الحانة أيّام الحرب. كانت تعرف قليلاً من الفارسيّة، وكان غُلْ شَهْرَهْ يحبُّ أنْ يناديها بـ فرّوخ. كانت تجدُ صعوبةً في لفظ الاسم، فيخرج من فمها بشكلٍ مضحك:

-فاروك.. تذهبُ.. أوروبا.

قالتْـها وهي تضحكُ من قلبها، في اليوم الذي وصلتْ فيه أنباءُ انتهاءِ الحرب إلى طهران. ثم غادرتْ بعد ذلك بأسبوع.

-هل سوف تتضايقينَ إذا ما تزوّجتُ امرأةً أخرى؟

سألها غُلْ شَهْرَهْ متحيّراً.

لم تُبدِ فرّوخ أية ردّة فعل، ظلَّتْ مُحدّقة في الحديقة وغارقةً في التفكير. كانت تفكّرُ في آخرِ مرّةٍ نظرتْ فيها إلى وجه فخر الدين.

يومذاك، كانا معاً في بيته. كان البابُ مُقفلاً عليهما، والستائرُ مُسدَلة من حولهما. في عتمة الغرفة، أومضتْ عيناه بشكلٍ غريب وقال:

-يجبُ أنْ أسافرَ لكي أعتني بالأطفال.

انفجرتْ فرّوخ بالبكاء. لكنه أكملَ بثقةٍ وإصرار:

-لكنني سأعود، أعدُكِ بأنني سأعود.

عندما وضعت الحرب أوزارها، عادت الزوجةُ الأمريكية مع تيدي وجيمي. كانت حينذاك تتصرّف بشكلٍ شاذّ وغريب، فمرةً، في إحدى الحفلات، وقفتْ في مكان عالٍ وصاحتْ :

-أنتم جميعاً مجانين!

ربما كان ذلك بتأثير الكحول، أو لأنها كانت متوتّرة بشكل كبير. بعد عشرة أيام من ذلك، أخذتِ الأولاد وغادرت إلى أمريكا.

لسبب ما، كانت فروخ تعرفُ من أعماق قلبها أنّ فخر الدين لن يعود إليها أبداً. بعد خمسة أشهر من ذلك، وصلَ الخبرُ السيّء إليها، لقد ماتَ فخرُ الدين بحادث سيّارة. أحسَّت بأنها صارتْ وحيدةً في هذا العالم، وأنّ غُلْ شَهْرَهْ قد باتَ نصيبَها الأوحدَ إلى أنْ تموت. بالتأكيد كان لديها الأولادُ أيضاً، لكنّ للأولاد حياتهم الخاصة بالطبع. وها قد كَبُـرَ الأولادُ بسرعةٍ وانطلقوا إلى حياتهم، كما لو

أنهم لم يولدوا قطّ.

أنهى غُلْ شَهْرَهْ تصفُّحه للجريدة، فطواها ومدَّها إلى زوجته. كان ينتظر أنْ تأخذها منه لكي يعاود الحديث عن سنّ اليأس ويُغيظها أكثر. في الحقيقة، لم يكن قد سمع بهذا المصطلح إلا قبل ثلاثة أيام، فبحث عنه في أحد المراجع، ثم اكتشف أنّ النقاش في هذا الأمر يغيظها حقاً.

تابعتْ فروخ صمتها الأخرق. نفدَ صبرُ زوجها فسأل:

-ألا تريدين الجريدة؟

مدّتْ يدها دون أيّ كلمةٍ وأخذتْ الجريدة، ثم أشعلتْ سيجارة.

حذّرها زوجُها:

-يجبُ ألّا تُدخّني! ففي سنِّكِ هذه، ومع انقطاع الطمث القريب، سوف تؤذين صحّتك بشكل كبير!

سألتْه، وكان ذلك اقتراحاً أكثرَ من كونه سؤالاً:

-لماذا لا تذهبُ في نزهة؟ مثلما تفعل كل يوم.

أجابها بحدّة:

-ربما لا أرغبُ في ذلك اليوم.

ندمتْ على طرح السؤال، فقد باتتْ متأكّدةً بأنه لن يغادر المنزل إذا ما خامَرَهُ الشكُّ بأنّ غيابهُ سيكونُ مريحاً لها، ولو بأي شكلٍ من الأشكال. قالت وكأنها لا تكترث:

-هذا جيّد، من الأفضل أن تبقى في البيت اليوم.

قال وهو ينهض على قدميه:

-تغيّر مزاجي فجأةً، أعتقد أنني سأخرج في جولة.

كان مُتردّداً في أمرِ المغادرة، كما لو أنّ شيئاً ما سوف يحدث في غيابه. وقفَ أمامها وراحَ يفكّر للحظةٍ بأنه لم يعُدْ من الضرورةِ أنْ يلبسَ تكشيرته المتهكّمة حين ينظر إليها. فقد أدركَ أنّ تلك التكشيرة كانت حِصْنَهُ الدفاعيّ في مواجهة جاذبيّتها الخارقة، وفجأةً أحسَّ بأنه ما عاد بحاجةٍ إلى هذا الحِصن. استفاقتْ في داخله رغبةٌ في أنْ ينظرَ إليها بذاتِ الطريقةِ التي نظرَ فيها إلى تلك المرأةِ البولندية في الحانة، تلك التي أعطاها اسمَها: فرّوخ. صحيحٌ أنّ زوجته الآن قد باتتْ على شَفَا سنِّ اليأس، وما عادت تحلمُ بعد اليوم، وصارتْ تذهب إلى السرير باكراً، وتشخُرُ في بعض الأحيان. ربما صارَ بإمكانه الآن فقط؛ أنْ ينظر إليها بطريقةٍ طبيعيّة وعفوية.

تبعَها عندما غادرتِ الشرفةَ ومشتْ إلى الداخل، ثم اعترضَ طريقها بمناورةٍ عسكرية، إذ حشَرَ نفسَهُ بغتةً بينها وبين درج البيت.

-فروخ... يا عزيزتي!

كانت تلك مفاجأةً بحجمِ زلزالٍ بالنسبة إليها، إذ لم يسبق لهُ أنْ خاطبها بهذا الشكل قبل. أما تلك التكشيرةُ الكريهة فقد اختفتْ، وظهرتْ -بدلاً عنها- نبرةٌ جديدةٌ في صوته، فيها أثرٌ من العاطفة الحقيقية. ارتجفتْ فروخ فزَعاً، فقد كانت متأكّدة بأنّ هناك نوايا شريرة خلف كل ذلك. ماذا لو كان يريد قتلَها؟ فكّرت في سرّها.

وبصورةٍ غريزيةٍ تلقائية... لَكَمَتْهُ بقبضةِ يدها على بطنه عند الحجاب الحاجز، وبكلّ قوتها. أحسّتْ -أثناء الضربة- أنّ بطنَهُ طريٌّ وعديمُ المقاومة. اختلَّ توازنُهُ، فحاولَ أن يتوازنَ بقدميه على الدرج ولم يستطع، فتهاوى على الدَرَج رأسُهُ قبلَ جسده. أراحتْ فرّوخ نفسها بالجلوس على كرسيٍّ قريبٍ منها، وتجنّبت النظرَ إلى أسفلِ الدَّرَج حيثُ كان الرجُلُ مُسجّى على الأرضِ دون أيّ حركة.

بعد ثلاثة أشهر، كانت فرّوخ جالسةً على الكرسي ذاته، بجسدٍ ضامرٍ وذاوٍ، متّشحةً بالأسود. جاء مُسيَّب وأوصل إليها رسالةً من السِّمْسار العقاريّ السيّد استواري، وطلبَ جوابها إذا كانت ما تزال ترغبُ في بيع المنزل. في وقت مضى، كانت قد أوصلتْ إليه خبراً عن طريق مُسَيَّب، أنها تريد بيع المنزل في حال وجدَ لها السمسارُ فيلّا مع حديقةٍ في «كَرَج». وبالفعل لقد وجدَ السيّد استواري فيلّا مناسبة تقعُ قرب النهر.

اشترتِ السيّدة فرّوخ صدر الدين غُلْ شَهْرَهْ تلك الفيلّا، وباعت المنزل، وانتقلتْ إلى «كَرَج».

زارين كولاه

كانت زارين كولاه بائعة هوى في السادسة والعشرين من العمر، تعيش في بيت الدعارة الذي تملكه "إكرام الذهبية" الواقع في إحدى جادّات البغاء المشهورة بسوء السمعة. كان لدى إكرام -صاحبة البيت- سبعةُ أسنانٍ ذهبية، ولذلك فقد كان لها لقبٌ آخرُ أيضاً: "إكرام السابعة."

تعيش زارين كولاه في هذا البيت منذ سنّ البلوغ. في سنواتها الأولى، كان يأتيها أربعةُ أو خمسةُ زبائن في اليوم، أما الآن وهي في السادسة والعشرين، فتخدمُ ما بين العشرين إلى خمسةٍ وعشرين أو حتى ثلاثين زبوناً في اليوم. اشتكتْ في كثيرٍ من المرات إلى السيّدة إكرام حول ضغط العمل، لكنها لم تنلْ من ذلك غير التوبيخ والتقريع، وفي بعض المرات الضَّرب. وهكذا تعلّمت الدرس.

كانت زارين كولاه شخصاً مرحاً بطبيعتها، وكانت مبتهجة على الدوام، منذ أنْ كانت تستقبلُ من ثلاثة إلى أربعة ضيوف في اليوم، إلى الآن وهي تخدم عشرين أو ثلاثين منهم. كما كانت تعبّر عن تذمّرها وشكواها على شكل نُكات، ولهذا فقد أحبَّتْـها النسوةُ كثيراً. وخلال استراحة الغداء، كانت تخترعُ النكات من لا شيء أو تتصرّف بطريقة

كوميدية، وكانت النسوة يراقبن حركاتها ويُطلقن ضحكاتٍ رنّانة.

في بعض الأحيان، كانت تُسلّي نفسها بفكرةِ مغادرة هذا البيت، لكنّ النسوة كنّ يتوسّلْنَ إليها أنْ تبقى، فسوف يغدو البيتُ كئيباً من دونها كما قُلْن. من المحتمل أيضاً، أنّ بعض النسوة كُنَّ يدفعنَ للسيّدة إكرام لكي تضربها. لكنْ في الحقيقة، لم تكن جادّةً في شأن المغادرة، إذ ليس لديها مكانٌ آخرُ تأوي إليه، إلا إذا لجأتْ إلى بيت دعارةٍ آخر كهذا.

في التاسعة عشرة من عمرها، كانت لديها فرصةٌ حقيقيّةٌ للرحيل، فقد كان لديها خاطب. كان الشابُّ عاملَ بناءٍ طموح، يحلُم بأن يصبح مقاولاً في يوم من الأيام. لكنْ ولسوء الحظ، وقبل أنْ يستطيع الوفاء بوعد الزواج، فُصِلَ رأسُه عن جسده بضربةِ رفشٍ أثناء إحدى المشاجرات بين العمّال. واليوم باتت زارين كولاه مُستسلمةً لقدَرها كلّياً، على الرغم من شكواها بين الفينة والأخرى.

خلال الأشهر الستة الماضية، صارت تعاني من مشكلةٍ عقليّة حقيقية. بدأ الأمرُ في واحدٍ من صباحات أيام السبت، عندما استيقظتْ وشربتْ كأساً من الماء، وجهّزتْ نفسها لتناول الفطور، ثم سمعتْ صوتَ إكرام صاعداً من الطابق الأرضي:

-زارين!... لديكِ زبون، وهو على عجلةٍ من أمره.

في العادة لا يأتي زبائنُ في الصباح، ما عدا مَنْ أمضَوا الليل هنا، ثم رغبوا في خدماتٍ إضافية قبل أنْ يغادروا في الصباح. وماذا في ذلك؟ فكّرتْ زارين كولاه في سرّها، فليذهبْ الزبائنُ كلُّهم إلى الجحيم.

وقبل أنْ تنفّذ ما فكّرتْ به، سمعتْ صوتَ إكرام مجدّداً، لكنه كان أكثر حدّةً وصخباً هذه المرة:

-إنني أتكلّم معكِ، زارين! الزبون في طريقه إليك.

تركت زارين الفطور في مكانه، ومضتْ غاضبةً إلى غرفتها، رمتْ نفسها على السرير وباعدتْ بين فخذيها.

دخل الزبونُ إلى الغرفة، كان رجلاً من دون رأس! ارتعبتْ زارين إلى درجة أنها لم تستطع أن تصرخ، فاستسلمتْ لهُ بجسدٍ جمَّدَهُ الذعر. قضى الرجُل غايته وغادر. لكنْ في ذلك اليوم، كان الزبائن كلُّهم من دون رؤوس! احتفظتْ زارين بالسرّ لنفسها، إذ كانتْ خائفةً من أنْ تُتَّهم بأنها مسكونةٌ بأرواحٍ شريرة. لقد سمعتْ من قبلُ عن امرأةٍ ابتُلِيَتْ بتلبُّس الأرواح الشريرة، وكانت تصرخ بشكلٍ مرعب في الساعة الثامنة من كلّ مساء، ما جعل الزبائن يخافون ويهربون من البيت في ذُروةِ ساعات العمل. ولهذا السبب فقد طُردَت المرأةُ من البيت، ثم اختفتْ من دون أيّ أثر. افترضتْ زارين منذ ذلك الحين، أنّ زيارة الأرواح تكون في الساعة الثامنة مساءً، ولهذا كانت تغنّي خلال هذي الساعة لعلّها تصدُّ الأشباح عنها. استمرّتْ في الغناء عند الثامنة مساءً لمدة ستة أشهر، ولسوء حظّها فقد كان صوتُها رديئاً، ولم تكن تلتزم باللحن. قال لها موسيقيٌّ عابرٌ بعدما أزعجَهُ غناؤها النشاز:

-يا قحبة! صوتُكِ بشعٌ... صار رأسي يوجعني.

بعد ذلك صارت زارين تذهب إلى الحمّام الواقع في قبو البيت،

وتغنّي هناك دون أنْ تؤذي آذان الآخرين. كانت إكرامُ السابعة تراقب ذاك السلوك الغريب، لكنها لم تعترض عليه طالما أنّ الفتاة تؤدي حصّتها اليومية من الزبائن، وهي تفعل ذلك بسعادةٍ ومرح.

بعد فترة، انضمّتْ فتاةٌ في الخامسة عشرة من العمر إلى عاملات البيت. كانت خجولاً بشكل فظيع، وفي أحد الأيام أشارتْ زارين إليها لكي تتبعها إلى غرفتها في الأعلى.

-أصغي إليّ يا صغيرتي، يجب عليّ أن أخبرك شيئاً، يجب عليّ أنْ أخبر أحداً ما وإلّا فسوف أُجنّ. إنه سرٌّ يأكلني من الداخل.

أجابت الفتاةُ إجابةً تُظهر أنها واعيةٌ وأكبرُ من عمرها:

-بالطبع، يجبُ على المرء أنْ يُفضي بأسراره إلى شخص آخر. أخبرتني جدتي أنّ الإمام عليّ عليه السلام، عندما كان لا يجدُ شخصاً يثق به ليقول له ما يفكّر فيه، فكان يذهب إلى الصحراء، يتّكئُ على بئر مهجورٍ ويُفضي إليه بكلّ أسراره.

-هذا صحيح!... والآن أريد أن أخبرك أنني أرى الناس دونَ رؤوس! أعني الرجال فقط وليس النساء.

أبدت الفتاة تعاطفاً معها، وقالت بصوتٍ لا أثرَ فيه للشك:

-هل حقاً تَرين ذلك؟

-نعم!

-ربّما هُم في الحقيقة من غير رؤوس.

-لو كان ذلك... للاحظَتِ النسوةُ الأُخرياتُ الشيءَ ذاته.

قالت الفتاة بعد تأمُّلٍ جادّ:

-هذا صحيح. لكن من المحتمل أنهنَّ يرين الرجالَ من غير رؤوسٍ أيضاً، لكنّهنّ مثلُكِ... خائفاتٌ من أن يتحدّثن في الموضوع.

وهكذا اتفقت البنتان على أن تتبادلا الإشارات بينهما، عندما ترى واحدةٌ منهما رجلاً بلا رأس. لكن التجربة أثبتت أنّ زارين وحدَها مَنْ ترى الرجال بلا رؤوس .

تحدثت الفتاةُ كما لو أنها في موقع السلطة:

-زارين.. يا زارين.. يجب عليكِ أن تصلّي، كما يجب أن تدفعي الزكاة. ربما بعد ذلك تستطيعين أن تري الرجالَ مع رؤوسهم من جديد.

طلبتْ زارين من إكرام السابعة إجازةً لمدة يومين، توجّهت مباشرةً إلى حمّام السوق، وحجزتْ حُجرةً خاصّة لنفسها. ثم طلبتْ مُدلّكة، وأخبرتِ المرأة بأنْ تفركَ كلَّ إنشٍ من جسدها بأقصى ما تستطيعُ من القوة، كما أمرتْها أنْ تكرّر العملية ثلاث مرات. بعد ذلك صار جلْدُ زارين مسلوخاً من كثرةِ الفرك الخشن، وكاد الدمُ يوشِكُ أنْ يرشَحَ من مساماتِـها. أُنهكت الـمُدلّكةُ من التعب، وقالت بعينين مغرورقتين بالدمع:

-أيتها المرأةُ المسكينة، أنتِ مجنونة حتماً.

أعطتْـها زارين بقشيشاً كبيراً، وطلبتْ منها أنْ تكتم ما ستقوله لها

حتى آخر يوم في حياتها. وهكذا تجرّأتْ زارين وطلبتْ من الـمُدلّكة أنْ تعلّمها كيفية الوضوء. بعد أن غادرت المدلكة، نفّذت زارين خطواتِ الوضوء بحذافيرها، وراحت تكرّرها مرةً تلو الأخرى، حتى بلغت قرابة الخمسين مرة. كانت تحسُّ كما لو أنّ جلدها محروقٌ بالنار، بسبب قسوة ذلك الفرك.

في النهاية، قرّرت أنْ ترتدي ملابسها وتحضّر نفسها لزيارة مرقد الشاه عبد العظيم. ثم أحسَّتْ بحاجة ملحّةٍ إلى السُّجُود عاريةً مثلما كانتْ، لتصلّي وتلتمسَ الرحمة من الله. لكنّها لم تتذكّر الصيغ الصحيحة للأدعية التي تُقال في حالاتٍ كهذه. بعد ذلك تذكّرت الإمام عليّ ومعاناته التي دفعته إلى البوح بأسراره للبئر. فكّرت بأنْ تتوسَّل باسمه، وتطلبُ منه أنْ يشفعَ لها عند الله.

-يا علي... يا علي.. يا علي.

كرّرتها بصوتٍ يئنُّ وهي ساجدةٌ على ركبتيها عاريةً، وجبينُها ملتصقٌ بأرض الحمّام. ثم انفجرت بالبكاء والنحيب وهي تردّد:

-يا علي... يا علي.. يا علي.

سمعتْ أحداً يدقُّ على باب الحُجرة، فسألتْ وهي تشهق:

-من هناك؟

-نريدُ أن نُغلق الحمّام، لقد حلَّ الليل.

ارتدتْ زارين كولاه ملابسَ جديدة، تاركةً ملابسها القديمة وراءها، وسارت في اتّجاه المرقد. عندما وصلت إليه، كان المرقدُ قد

أُغلقَ بحُكمِ حلول الليل.

جلستْ على العشب قرب البوابة. كانت السماءُ صافيةً ولا غيمةَ فيها، وكانت ساحةُ المرقد مضاءةً بنور القمر الحليبي. بكتْ زارين من دون صوت.

عندما فُتحتْ بوابةُ المرقد في صباح اليوم التالي، كانت عينا زارين أشبَهَ بجُرحينِ صغيرين في وجهها، فقد غارَتَا بين أجفانها المنتفخة من كثرة البكاء. لكنها لم تدخل إلى المرقد، ولم تعدْ تبكي أيضاً. أحسَّتْ أنها خفيفةٌ كالهواء، أو كقشّةٍ تتناقلُها أكفُّ الرياح. اشترتْ طبقاً من الحَسَاءِ من عربةِ بائعٍ متجوّل، ثم سألته:

-أين يمكنني أنْ أتنفّسَ هواءً عليلاً في قيظِ هذا الصيف المتوحّش؟

-أعتقدُ أنّ كَرَج خيارٌ جيد.

أجابَ البائعُ وهو ينظر إلى عينيها المتورّمتين بشفقةٍ وحزن.

توجَّهتْ زارين مباشرةً إلى كَرَج.

امرأتان على الطريق

عند غروب الشمس، كانت امرأتان – واحدة في الثامنة والعشرين والأخرى في الثامنة والثلاثين- ترتدي كلُّ واحدةٍ منهما شادوراً، تسيران على الطريق العام المؤدّي إلى كَرَج. كانت كلتاهما

عذراوين.

عند لافتة الطريق التي كُتب عليها ثمانية عشر ميلاً، توقّفت شاحنةٌ على بعد ثلاثين قدماً منهما. كان هناك ثلاثةُ رجالٍ في حجرة قيادة الشاحنة، السائقُ ومساعدُهُ وكانا سكرانين، أما المسافر الذي معهما فلا. لعدّة مرّاتٍ خلال الرحلة، كان على المسافر أنْ يُمسك بالمقود لكي يُجنّب الشاحنة الاصطدام بالسيارات الأخرى، أو لمنعها من الانحراف عن الطريق. وفي النهاية توقف عن هذا التدخُّل، وسلَّم أمرَه للقضاء والقدر.

عندما توقفت الشاحنة، طلب السائق من مساعده أن يخرج معه، ومشى الرجُلان في اتجاه المرأتين. عند ذلك استغلّ المسافرُ الفرصة لكي يتمدّد في حجرة القيادة ويُشعل سيجارةً.

وصل السائق إلى المرأتين وسألهما:

-إلى أين تذهبان أيتها السيدتان؟

أجابت المرأة ذات الثمانية والعشرين عاماً على الفور:

-نحن ذاهبتان إلى كَرَج، لنعيشَ هناك من كَدْحنا وعرقِ جباهنا، دون أيّ حاجةٍ لرجالٍ يُملون أوامِرَهُم علينا.

-هكذا إذاً؟ هل أنتِ جادّةٌ حقّاً؟

مدَّ يدَهُ إلى شادورها، وكشف الغطاءَ عن رأسها بسحبةٍ واحدة.

-ما هذا بحقّ الجحيم؟!

صرختْ بصوتٍ نصفِ خائفٍ ونصفِ متفاجئ:

-النجدة! النجدة!

وعلى الفور، هاجم الرجُلان المرأتين ونشبَ صراعٌ بين الأربعة. المرأةُ التي كان اسمُها فايزة، واصلتِ المقاومة والصراخ وهي تُرغَم على النزول أرضاً. الثانية التي كان اسمها مونيس، استسلمتْ ولم تُبدِ أيّ ممانعة.

بعد خمس عشرة دقيقة، نهَض الرجُلان على أقدامهما وشَرَعا ينفضانِ الغبارَ عن ثيابهما ببطء، ودون أدنى خوفٍ من أنْ يُقبَض عليهما في الجُرْم المشهود. كانت المرأتان ما تزالان على الأرض، وكانت فايزة تلعنُ الـمُعتديَيْـن بجرأةٍ وهما يُنظّفان ثيابهما:

-الله ينتقم منك... أنتَ وهو!

قال المساعد متبرّماً:

-المرأةُ التي كانت معي، لم تكن مثيرةً حقّاً.

أجابه السائق:

-هذا نصيبكَ يا فتى! أما التي كانت معي فقد أبدَتْ مقاومةً لذيذة، متظاهرةً بأنها فتاةٌ شريفة.

ضحكَ الاثنان معاً، ثمّ - وبسُخريةٍ خبيثة- وجَّها الشُّكر للمرأتين وتحرّكا نحو الشاحنة. قفز السائق إلى مقعده وأدار المحرّك.

سأل المسافرُ:

-هل حدثَ شيءٌ لكما؟

-هذا ليس من شأنك.

أكملَ المسافرُ كمَنْ يعتذرُ ويبرّر:

-آسف! ظننتُ أنْ حادثاً ما قد وقعَ أو شيئاً آخر.

-وما علاقتكَ بذلك على أيّ حال؟ هل أنتَ شرطيٌّ مثلاً؟

-لا.. أنا بستانيّ، يُسمّونني «البستانيّ اللطيف».

قال السائق ساخراً:

-أهلاً.. أهلاً.. أيها البستانيّ اللطيف، كنّا نسقي الحقول فحسب.

أُعجبَ السائقُ ومساعدُهُ بهذا التعليق، فنظرَ كلٌّ منهما إلى الآخر وانفجَرَا بالضحك. ضحكَ السائقُ إلى درجة أنه فقدَ السيطرة على المقود، وصارت الشاحنة تذهبُ يميناً وشمالاً على الطريق السريع. ولكي يتجنّب اصطداماً مباشراً مع سيارة المرسيدس القادمة من الاتجاه المعاكس، أدارَ المقود بحركةٍ فُجائيّة، فانحرفت الشاحنة عن الطريق واتّجهت نحوَ أجمةٍ من الأشجار. هشّمت الشاحنةُ الشجرة الأولى، ثمّ تحطّمتْ عند الشجرة الثانية وتوقّفتْ. فُتِحَ البابُ اليمينيّ إثرَ الصدمة ووقعَ المساعدُ من المقعد إلى الأرض، ثم انقلبت الشاحنةُ على يمينها فهَرَسَتْه. أدّتْ قوةُ الاصطدام إلى انقذافِ السائقِ عبْرَ الزجاج الأماميّ نحو خطوط التيّار الكهربائي الممدودة على الأعمدة في الأعلى، وتبعَهُ المسافرُ الذي طار ثم هَوَى على كومةٍ كبيرةٍ من الطين على جانب الطريق.

السائقُ -الذي تمسَّكَ غريزياً بالأسلاكِ عاليةِ التوتّر لكي يُوقفَ طيرانَهُ- قُتِلَ بالصدمة الكهربائيّة، إذ اهتـزَّ جسدُهُ كمَنْ يرقصُ رقصةَ الموت ثمَّ سكَن. أما المساعدُ الذي انقلبت الشاحنة فوقه، فقد مات من حينه، وقبل أنْ يقدر على فتح عينيه.

نهض المسافرُ على قدميه ببطءٍ، وحاولَ أن يُخلّصَ نفسه من كومة الوحل. ثم ألقى نظرةً شاملةً على مشهد الموت والدمار من حوله:

-أيُّـها المخلوقان الحقيران!

أدركَ أنه لن يستطيعَ مسحَ كلَّ هذا الوحل الذي عليه، وأنّ الأمر يحتاجُ إلى استحمامٍ وتبديل الملابس كلها. بعدما وجدَ فردةَ حذائه التي كان يبحث عنها، لَبِسَـها، وراحَ يمشي الهُـوَيـنـى في اتجاه كَرَج.

بُستان فرّوخ

(الجزء الأوّل)

كانت فرّوخ مسترخيةً في المقعد الخلفيّ للسيّارة، بينما كان استواري ومُسيّب والسائق جالسين في المقعد الأماميّ. وهكذا وصلوا جميعاً إلى بوّابة المزرعة في الساعة الرابعة بعد الظهر. كان استواري قلقاً إزاء ردّة فعل زبونته حول الشجرة، ما عدا ذلك فكان قد شرحَ لها مواصفات العقار جميعها، وما إنْ توقفت السيارةُ حتى قفز من مكانه وفتحَ لها الباب الخلفي. كان هذا آخر يوم عملٍ لسائق العائلة، وفي الحقيقة لم يكن مطلوباً منه أن يعملَ حتى في هذا اليوم، إذ كان بإمكان السيدة أن تقود السيارة بنفسها، لكنّه عرض عليها أنْ يُقلّها في الظاهر، كمَن يُسدي معروفاً، بينما أراد في الحقيقة أن يُشبع فضُولَه ويعرفَ أكثر عن العقار الذي تنوي السيّدة شراءه.

قال استواري:

-سوف ترينَ بأن هذه المزرعة كنزٌ حقيقيّ.

مُتجاهلةً ما قاله من مديح، مشتْ فرّوخ نحو البوابة سابقةً الرجال. ثم توقّفت وأدارت رأسها من فوق كتفها الأيسر، وهي

حركةٌ تعلّمتها من والدتها، وسألت:

-أهذه هي؟

أجاب استواري وهو يُخرج مفتاحاً كبيراً من جيبه:

-نعم يا خانُم، اسمحي لي.

فتح البوابة، ثم تراجع إلى الخلف ليسمح لها بالدخول قبله.

وضعَت فرّوخ قدمها على عتبة الباب بحذر، كانت ترتجف من شدّة الإثارة التي حاولتْ إخفاءها عن مرافقيها. راحتْ تسيرُ على الممرّ المفروش بالحصى بهدوءٍ وتروٍّ، بينما كانت عيناها تتشرّبان كل التفاصيل التي تريانها بنَـهمٍ لذيذ.

أضاف استواري ملاحظةً:

-إنها مثلما طلبتِ بالضبط يا سيدتي. فقط.. قليل من الرُّتُوش هنا وهناك، وتصير رائعة الجمال.

أومأتْ فرّوخ برأسها مُقِرّةً بصحّة ملاحظته.

كان الممرُّ يلتفّ حول بركة ماءٍ في جوارها هيكلُ سرير، ثمّ يقودُ إلى بلاطاتٍ مزيّنة بالفسيفساء تُوصِل إلى باب المنزل. لم يكن البناءُ جذّاباً كثيراً، فقد بَدَا وكأنه شغلُ مُقاولٍ متسرّع. أحسَّت فرّوخ بشيءٍ من خيبة الأمل.

اقترحَ استواري:

-لا تحتاجُ الواجهةُ الأمامية سوى طبقةٍ من الجصّ المرشوش،

وتصبح مذهلة.

فكّرت فرّوخ في ذلك للحظة، لم تكن فكرةً سيئة في الحقيقة. ثم نظرت إلى النوافذ فوجدتْ أنها بالحجم المناسب والملائم للمناخ المحليّ.

فتحَ استواري باب المنزل الـمُقفَل، ودخلا معاً في بهوٍ باردٍ وفسيح. كانت هناك ثلاثُ غرف على جانبيّ البهو، ومطبخ وحمّام ومرحاض. وكانت نوافذ الغرف تُطلّ على البستان في الخارج، وعلى الفناء الصغير الواقع خلف المنزل.

بادرتْ فرّوخ بأول تعليقاتها:

-لقد أعجبني المطبخ، إنه واسعٌ وأنيق. لكن حماماً واحداً لا يكفي، كما أننا نحتاج إلى أكثر من ثلاث غرف، أتوقّع مجيء كثير من الضيوف.

قال استواري:

-كما قلتُ لكِ سابقاً يا سيدتي؛ الأساساتُ متينةٌ، والأعمدةُ والعوارضُ مُسلّحةٌ بالحديد، يمكنكِ أن تُضيفي طابقاً ثانياً دون أيّ مشكلة.

كان يتنقّلُ من زاوية إلى أخرى في البهو، وهو يتوسّع في الشرح:

-يُمكن أن نبني سُلّماً دائريّاً هنا، يصعد إلى الطابق الثاني. كما يمكن أن نضيف حوضاً ترابياً في المنتصف، ونضع فيه شجرةً تمتدّ إلى الطابق الثاني. بل يمكن أن تمتدّ إلى فوق البيت كلّه، سيكون

ذلك رائعاً وفخماً.

ارتبكت فرّوخ من فكرة أنْ تكون هناك شجرةٌ تمتدّ من منتصف المنزل إلى أعلاه. ثم أضاف استواري بنبرة فيها بعضُ الغرور:

-لقد كانت تلك فكرتي وحدي.

أجابت فرّوخ غير مقتنعة بما قال:

-سوف نفكّر في الأمر، فالشجرة الكبيرة سوف تُضعِف بجذورها أساساتِ المنزل.

لقد أعجبها المنزل حقاً، رغمَ أنها تعرف أنه لا ينبغي أن تُظهر حماستها أمام استواري. قرّرت سلفاً أنْ تُضيف طابقاً ثانياً للبيت، كما جمحتْ بخيالها فراحتْ تتصوّر الحياة الاجتماعيّة الحيوية الواسعة التي ستملأ البيت؛ مع أصدقاء كثُرٍ يأتون في أيّام العطل والإجازات. الثلاث والثلاثون سنةً التي عاشتْـها مع رجلٍ عصبيٍّ نزقٍ متقلّبِ المزاج؛ أفقدتها عدداً كبيراً من الأصدقاء. لكن قد يكون في ذلك خيرٌ ما، إذ بإمكانها الآن أنْ تبادر لبناء صداقاتٍ وعلاقاتٍ جديدة وفقاً لاختيارها وحدها. صداقات مع فنّانين وكتّاب وباحثين، مُحوّلةً قاعة الاستقبال إلى صالونٍ ثقافيّ، تؤثّثه على غرار السيّدات الأرستقراطيات الباريسيّات في القرن الثامن عشر، أولئك اللاتي قرأتْ عنهنّ في الروايات. في تلك الأثناء، كان استواري يواصل تعليقاته وهما يتفحّصان أجزاء العقار المختلفة. كما راح يعُدُّ أشجار البستان ويطرح أفكاراً جديدة بخصوص كلٍّ منها. فمن أجل الاعتناء بالبستان مثلاً، اقترح استواري أنْ توظّف بستانياً متخصّصاً

في ذلك، فقد تُركَ البستانُ لسنةٍ كاملة دون عناية، فنمت الأعشابُ الضارّة وصار أشبه بالأرض البُور.

كان استواري قد نظّم الجولة في البستان على مراحل، فهو يتوقف بين الفينة والأخرى ليتحدث عن مجموعة من الأشجار، ويضيف مزيداً من الأفكار:

-سيدتي.. لن تجدي أفضل من هذا البستان في كَرَج. لكي أكون صادقاً معكِ، ثمّة بيوتٌ وبساتين أجمل منه، لكن بالنسبة إلى السعر الذي تنوين دفعه، فلن تجدي أفضل من هذا أبداً. بقليلٍ من التحسينات، سيغدو هذا البستانُ جنّةً حقيقيّة .

كانت فرّوخ قد حسمتْ أمرها مسبّقاً، وقرّرت أن تشتري العقارَ غير آبهةٍ بكل إغراءاتِ استواري اللجوجة والزائدة، لكنها تركته يتابعُ عمله الاعتياديّ.

بعد قليلٍ وصلا إلى النهر، قال استواري بشيءٍ من المباهاة:

-كما تَرَين، فإنّ ضفّة النهر تشكّل حدود العقار. كما أنّ التيار المائيّ سريعٌ وقويّ، ولهذا لا يوجد أيّ خطرٍ من أنْ يتسلّل لصوصٌ عبر النهر. بالإضافة إلى عدم وجود أيّ لصوصٍ بين الناس المقيمين في هذه المنطقة .

-هل الأمر كذلكَ حقاً؟

أجابت فرّوخ مع أنها لم تكن تستمعُ إلى أيّ كلمةٍ مما يقول، إذ كان تركيزها منصبّاً بالكامل على شجرة من أشجار البستان، وهي لم تكن

تصدّق ما تراه، فسألته:

-ما هذا؟

استواري الذي كان خائفاً من الوصول إلى هذا السؤال، مع أنّه لا مفرَّ منه، حاول أن يُجيبَ وكأنْ الأمر طبيعيّ قدْر الإمكان:

-في الحقيقة هذا كائنٌ بشريّ. لكنّي أعدُك...

أضافَ لكي يُطمئن زبونته:

-إنّها أكثرُ شخصٍ مسالمٍ تلتقينَ به في حياتك كلّها.

-إذاً، ما الذي تفعلهُ هنا؟

تلعثم استواري بالكلام:

-كيف يمكنني أن أشرح؟ لقد تركوا العقار يُباعُ بسعرٍ زهيدٍ بسبب هذه النّقطة بالذّات. أعتقد أنكِ ستكونين رحيمةً، ولن تستغلّي هذا الأمرَ من أجل تخفيض السّعر أكثر. وخصوصاً أنّك امرأةٌ أيضاً، ويمكنك بالتأكيد أن تحتملي وجود هذه الشجرة المسكينة.

اقتربتْ فرّوخ من الشجرة أكثر:

-لكنّ هذه ليست شجرة، إنّها إنسان!

أكّد استواري:

-إنها كذلك حقاً. في الحقيقة هذه الشجرة المسكينة... هي شقيقةُ المالك السابق للعقار .

تكلّم استواري بوجهٍ يتلوّن خجلاً وخوفاً من أنْ يبدو مجنوناً بسبب ما يقول. ثم قالت فرّوخ مصدومةً:

-كم هذا غريب!

-إنّهُ حقاً كذلك! فهذه الرّوح البائسة فقدتْ صوابها وضلَّت طريقها، فزرعتْ نفسها في الأرض.

-لكن هذا الشيء لن ينفع، كان ينبغي أن تُؤخذ إلى مأوى المجانين .

-تلك هي المشكلة! اختفت هذه المرأةُ البائسة في خريف العام الماضي، وقد بحثوا عنها في كلّ مكان دون أن يجدوها، ثمّ استسلموا كُليّاً. لكن عندما عادوا إلى البستان في موسم الصيف، وجدوها مزروعةً هنا في الأرض، وهكذا أدركوا تماماً بأنها قد جُنّت. وكما أُخبركِ يا سيدتي؛ فقد بذلوا كل الجهود لكي يقتلعوها من الأرض، لكنّ ذلك كان مستحيلاً.

أخرج استواري منديلاً كبيراً مُزداناً بالرسوم من جيبه، ومسحَ به دمعتين تساقطتا من عينيه. ثم نفَّ بالمنديل بصوتٍ عالٍ. تحرّكتْ مشاعرُ فرّوخ بهذا السّرد العاطفيّ المؤثّر، فسألت:

-هل ثمة قرابةٌ بينكَ وبينها، لا سمحَ الله؟

-لا أبداً! ولا بشكلٍ من الأشكال! أقسم بالله! إنّني في الحقيقة لم أبكِ منذُ عشرين عاماً، لكنني لا أستطيع كبحَ دموعي عندما أرى هذه المرأة المسكينة. على أي حال، لقد حاولوا وحاولوا ولم

يستطيعوا اقتلاعها من الأرض، فوق ذلك كانت تتوسّل إليهم وتقول: «أرجوك، لا تقطعني، دعني أنمُ» .

-لكنها لم تُنبتْ أيّة أغصان أو فروع.

-ليس لحدّ الآن، مع أنّها مدّتْ جذورها في الأرض، وربما تُفتّح أوراقاً جديدة في السّنة القادمة.

-وماذا عن عائلتها؟

-ما الذي يمكنني قوله؟ جميعهم مستاؤون ومغلوبون على أمرهم بسبب هذه الفضيحة المحرِجة. كيف يمكنهم أنْ يخبروا الناسَ بأنّ شقيقتهم قد تحوّلتْ إلى شجرة؟ لا يمكنُ للمرء أنْ يقول ذلك أمام الناس. على كل حال، فقد لجؤوا إليّ وطلبوا مساعدتي في الأمر، وقالوا إنهم سيتركون العقارَ يُباع بسعرٍ بَخس، شريطةَ أنْ يبقى البائعون مجهولي الاسم. ولهذا صار بإمكانك أنْ تشتري البستان بسعرٍ أقلّ بكثير من سعر السوق، هذا من حسن حظّك .

سألت فرّوخ مجدداً، وكأنها لا تريد تغيير الموضوع:

-ولماذا كانوا مُحرَجين بها؟ ليس من العيب أنْ يصير المرءُ شجرة.

صاح استواري باستغراب شديد:

-كان أخوها المسكين يبكي وهو يتحدّث إليّ: "قريباً سوف يعرف الناس بأنّ أختي قد تحوّلتْ إلى شجرة، ثم يبدؤون

بالسخرية منا، وقد يُسمُّوننا {أخوات الشجرة} أو {أولاد الشجرة} وهلُمَّ جرّا... وربما يكتبون على جدران بيوتنا عباراتٍ كهذه، ويدمّرون سُمعة عائلتنا العريقة التي حافظنا عليها لمدّة قرن كامل". وكما أقول لكِ سيدتي، هؤلاء الناس من عائلةٍ ذات سمعة عطرة، فكيف بإمكانهم أنْ يعترفوا بأنّ واحدة منهم قد صارت شجرة؟ الأمرُ مختلفٌ تماماً عمّا إذا أصبح واحدٌ من العائلة وزيراً أو عضواً في البرلمان، ففي الحقيقة يتباهى المرءُ إذا كان لديه قريبٌ في هذه المواقع. لكن كيف بإمكانهم أن يخبروا الناس بأنّ فرداً من العائلة قد أصبح شجرةً؟ أخبرني أخوها إنهم لم يكونوا ليمانعوا لو أنها صارتْ حلّابةَ بقرٍ أو بائعة أجبانٍ وألبان. فرغم كلّ شيء، تُعتبر هذي الأشياء مِهَناً. لكنْ أن تصبح شجرة؟ لا أعرف شيئاً كهذا.

راحت فرّوخ تتمشى حول الشجرة، وتتفحّصها بحذرٍ وعناية. بينما كان مُسيّب والسائق على مسافة بعيدة، خائفين من الاقتراب أكثر.

كانت الشجرة تبدو كما لو أنها امرأةٌ على تخوم الثلاثين من العمر، وكانت مدفونة في التراب حتى ركبتيها، متّشحةً بثوبٍ بالٍ، ومُنتصبةً بشكلٍ مستقيم، وكأنها تراقبُ المحيطَ من حولها. بدأت فروخ تشعرُ بمودّة تربطُها بتلك الشجرة.

أكمل استواري:

-أخبرتُ أخاها بألّا يقلق، أخبرته بأنني وجدتُ سيدةً محترمةً

من عائلة مرموقة لشراء البستان. وأخبرته إنها سيدة بكل معنى الكلمة، وسوف تحتمل وجود المسكينة مَـهْـدَخْت في عقارها، وتُبقي السرّ مكتوماً. فهي سيدة تعرف أهميّة السمعة.

لم تكن فرّوخ تستمع إلى أيّ شيء مما يقول استواري، ثمة انقلابٌ حادٌّ ومفاجئ حدثَ في ذهنها، إذ كانت تفكّر بكلّ ما يمكن أن تفعله بهذه الشجرة الاستثنائية. فهي لن تؤسّس حركةً أدبية كاملة من حولها فحسب، بل سوف ترتقي إلى مواقعَ قيادية في العمل السياسي كذلك. لا يوجد أحدٌ على وجه الأرض يمتلك ظاهرةً كهذه أبداً، كهذي التي سمّتْـها - بسبب عدم وجود تعبيرٍ أنسب- «شجرةً بشرية».

قاطع استواري سلسلة أفكارها:

-يمكنكِ أن تنقلي إحدى الأشجار إلى المنزل، ويمكنك أن تبني جداراً حول هذه لكيلا تلفتَ انتباه الآخرين ويكثـرَ اللغوُ حولها.

كانت فرّوخ شاردةً في أفكارها دون اهتمام لما يقوله استواري. مع وجود شجرةٍ بشرية في بستانها، لم تعد بحاجة إلى أي نوعٍ آخر من الأشجار. وبما أنها الوحيدة التي تملك ظاهرةً كهذه، فهذا يدلُّ على أنها متفوّقة على الآخرين من حيث الذكاء الفطريّ وسِعة الثقافة واللياقة الجسمانية والروحيّة. الآخرون لا يستحقون أن يمتلكوا شجرة بشرية، لأنهم لا يملكون القدرة على فهم أهميّة وجُود شجرة بشرية. حتى هي لم تكنْ تدرك كلَّ المضامين الوجودية لامتلاكِ

شجرةٍ بشرية، لكنّ حدْسَها أخبرها إنّ هذي الشجرة ستجلبُ لها الثروة والشهرة .

-لا، لا يا سيد استواري، لا أحتاج إلى شجرة داخل المنزل. وهذه سوف تبقى هنا في مكانها، ليس لديّ أيُّ اعتراض عليها .

تنفّس استواري الصعداء أخيراً، ثم اعترف لها:

-كنتُ خائفاً من أن تعتبري ذلك أمراً غير مقبول. وكنتُ أفكّر أيضاً في أنْ أشتري العقار بنفسي، في حال رفضتِ أنتِ ذلك. لكن المشكلة الوحيدة هي أنّ لدي ستة أولاد، وهم بالتأكيد سوف يقتلعون هذه الشجرة المسكينة من مكانها. الحمدُ لله أنكِ وافقتِ!

راحت فرّوخ تتمشى نحو بوابة البستان وهي تواصل تأملاتها فيما تراه، دون أدنى اهتمام أو إصغاء إلى تعليقات استواري المتواصلة. ثم نادت الرجال:

-مُسيَّب.. أكبَـر.. عُودا إلى المدينة واجْلِبا لي الأمتعة كلها .

سأل مسيّب:

-هل سوف تبيتين هنا هذه الليلة؟ البيتُ فارغٌ وغير مفروش.

-ليست هنالك أية مشكلة، سأظلُّ هنا لكي أُشرف بنفسي على أعمال الترميم .

ثم التفتتْ إلى استواري وطلبتْ منه أنْ يبحث عن بنّائين لكي يبدؤوا العمل انطلاقاً من اليوم التالي.، فسألها مَشْدوهاً :

-ولماذا العجلةُ يا سيدتي؟ يمكنكِ البقاء في المدينة حالياً. سوف أُشرِفُ على المشروع بنفسي، ويبقي مُسيّب معي ليساعدني.

أكّدتْ فرّوخ مرة أخرى:

-لا، سأبقى هنا. لا أريد لهذا العمل أن يستغرق أكثر من شهر واحد.

كان هنالك مَنْ يدقُّ على باب البستان، ذهب مُسيّب ليفتح البوابة وهو يقول:

-لن يكون ذلك مناسباً لك يا سيدتي، فالفلاحون المقيمون هنا لا يعرفونكِ، وهم فُضوليّون كثيراً. هل ترين؟ ها قد صاروا عند الباب.

-ليست بالمشكلة العويصة، سأعلّمهم بألّا يتسكّعوا هنا وهناك.

فتح مُسيّب البوابة، فوجد رجلاً وامرأةً. خاطبَ الرجلُ مسيّب:

-اعذُرني أيها الشاب، هل تحتاجون إلى بستانيّ لهذه الفيلا؟

تدخّلتْ فرّوخ قبل أنْ يقول مُسيّب شيئاً:

-بالتأكيد أيها الشاب بالتأكيد، هل أنتَ بستانيّ؟

-نعم يا سيدتي العزيزة، أنا بستانيٌّ ويُسمّونني "البستانيّ اللطيف". لديَّ أصابعُ خضراء، فما إنْ ألمس شُجيرةً حتى تُفَرّعَ مائة غصنٍ جديد، وعلى كلّ غصنٍ تُفتّح مائة زهرة.

كانت فرّوخ دائخةً بسبب ما يحصل لها، قبل قليل... الشجرة البشرية، والآن ها هو البستانيُّ ذو الأصابع الخضراء.

-هل تستطيع القيام بأعمال البناء؟

-أستطيع القيام بكل الأعمال، كل شيء يا سيدتي.

سألتْ فرّوخ وهي تشير بإصبعها إلى المرأة الواقفة إلى جانبه:

-ومن هذه؟ هل هي زوجتك؟

-لا يا سيدتي! لقد صادفتُ هذه المرأة المسكينة على الطريق العام المؤدي إلى كَرَج، كانت تائهةً ولا تعرف إلى أين تذهب. وعندما رأتني، صرختْ ورمتْ بنفسها عند قدميّ وشرعت بالبكاء. سألتُـها لماذا تبكين وتقبّلن قدمي؟ فقالت إنني أوّلُ رجلٍ لهُ رأسٍ تَراهُ منذ ستة أشهر.

-هل هي مجنونة؟

-لا أظنُّ ذلك، وبغضّ النظر، فقد تبعتْني على الطريق حتى وصلتُ إلى هنا. قالتْ إنّ اسمها زارين كُولاه، وإنها ارتكبتْ أفعالاً آثمةً فيما مضى، لكنها تابتِ الآن عن كل ذلك.

تحدثّت فرّوخ إلى تلك المرأة:

-زارين.. هل تجيدين الطبخ؟

-لا يا سيدتي.

-هل تجيدين تنظيف المنزل؟

- لا يا سيدتي.

- ماذا عن غسيل الأطباق؟

- لا يا سيدتي.

- إذاً، ما الذي يُمكنك القيام به؟

- سيدتي، يمكنني أنْ أتعلّم تلك الأشياء كلها. ما يمكنني فعله الآن هو سَرْد الحكايات والغناء، أضيفي إلى ذلك أنني رغم يفاعة سنّـي.. لديَّ عالمٌ من التجارب والخبرات.

التفتت فرّوخ إلى البستانيّ وسألته:

- ما هو اسمك الحقيقي؟

- وما الهدفُ من أن تعرفي اسمي الحقيقي؟ يناديني الجميع بـ «البستانيّ اللطيف»، بإمكانك أنت أيضاً فعلُ ذلك.

- حسناً أيها البستاني، منذ اليوم أنتَ موظّف عندي. لكن ماذا يمكننا أن نفعل بشأن هذه المرأة؟

- وَظِّفيها هنا أيضاً، سوف تتجوّل في أرجاء المكان وتتعلّم القيام بالأعمال.

- فليكُنْ ذلك.

اعتقدتْ فرّوخ أن لدى المرأة الإمكانيةُ لتكون إضافةً مفيدةً إلى المنزل، فهي لم تبْدُ محتالةً أبداً، بل صادقة وأمينة. التفتتْ إلى السائق وأمرتْه:

-أحضِرْ إلى هنا أكبرَ كميّة ممكنةٍ من الأمتعة والأثاث. الحقائبُ محزومةٌ والسجاجيدُ ملفوفة وجاهزة، ويمكنك أن تستأجر شاحنة إذا تطلّب الأمر. أريد كلّ شيء هنا وفي هذه الليلة .

ثم طلبتْ من استواري أنْ يأخذ مسيَّب معه إلى مركز المدينة، من أجل شراء مواد البناء اللازمة لترميم المنزل.

اعترض استواري:

-لكن يا سيدتي، صارت الساعة السادسة مساءً، كلُّ المحلات مغلقة الآن.

-لا تغيّر الموضوع، وكما تعلم فإننا نحتفظ بسرٍّ مشترك، ويجب أن نساعد بعضنا بعضاً .

أطاعَ استواري أوامرها، وغادر مُكرهاً مع مسيّب. ثم قالتْ لـ زارين:

-أنتِ ابقي دائماً على مقربةٍ مني .

-بكلّ تأكيد يا سيدتي.

بعد دقائق من مغادرة الرجال، سُمعتْ طرقاتٌ جديدة على الباب. فتحتْ فرّوخ البوابة لتجد أمامها امرأتين تبدو عليهما آثارُ التعب والإنهاك، كانت كلٌّ منهما ترتدي شادوراً مُجعّداً ومتّسخاً بالوحل.

-ماذا تريدان؟

-انفجرتْ واحدةٌ منهما بالبكاء، أما الثانية- والتي تبدو أكبر سِناً- فكانت تنتظرُ رفيقتها حتى تتجاوز حالة الانهيار العاطفي.

سألت فرّوخ متبرّمة:

-إنني أسألكما... ماذا تريدان؟

بدأتِ المرأةُ الأكبر بالكلام:

-أولاً السلامُ عليكِ أيتها السيدة العزيزة. أنا اسمي مونيس وهذه صديقتي فايزة، لقد مشينا الطريق كلَّه من طهران إلى هنا، وها نحن مُنهكتانِ من الإعياء. وقد حدثَ لنا أمرٌ رهيبٌ أثناء الطريق. هل تسمحين لنا بالمبيتِ عندك لهذه الليلة؟ سوف نواصل رحلتنا في صباح الغد، ونمضي معاً إلى حيثُ تأخذنا أقدارُنا.

-أيتها السيدتان، لقد وصلتُ إلى هنا للتوّ فقط، ليس لديَّ أيُّ أثاثٍ هنا. لكنني أرى الأمرَ غريباً بعض الشيء؛ فكيف لسيّدتين مثلكما أنْ تجدَا نفسيهما مرميَّتينَ وحيدتين وسْطَ هذه البريّة المقفرة؟! يبدو أنكما من عائلتين محترمتين، فلماذا تسافران من دون مُرافق؟

أجابتْ مونيس:

-إنها قصّة طويلة. في الحقيقة، قرّرنا أنْ نتخلّص من عبودية الأعراف العائلية ونسافر، نسافر في رحلة حجّ إلى الأماكن

المقدّسة، أو في رحلةٍ لاستكشاف العالم. لكنْ ولسوءِ الحظ، فإنّ أوّل مكانٍ اخترناهُ كان كَرَج، وقد وقعت الكارثةُ على طريقه.

انجذبتْ فروخ لما سمعتْ، وصارتْ مهتمةً بأن تعرف أكثر، ولهذا عرضتْ عليهما:

-أرجوكما تفضَّلا.. أتوقّعُ وصولَ بعض الأثاث في هذه الليلة، تفضَّلا وأخبراني ماذا حصلَ معكما.

مشتِ الواصلتانِ حديثاً إلى داخل البستان، ثم جلست المجموعةُ على هيكلِ السرير قرب البركة.

وجّهتْ فروخُ كلامها إلى فايزة التي لم تتوقّف عن النحيب:

-أيتها الآنسة.. كُفّي عن البكاء! إنه ليس أمراً جيداً.. من أجلّ صحتك.

قاطعتْـها زارين كولاه:

-على العكس من ذلك، صدّقيني يا سيدتي، لقد بكيتُ لمدة اثنتي عشرة ساعةً في الأمس. هاتان ليستا عينيّ في حالتهما الطبيعية، فهُما كبيرتانِ وبُنيّتان. لكنهما منتفختانِ الآنَ من كثرةِ ما بكيتُ، مع ذلك فقد جعلني البكاءُ أرتاح حقّاً. دعيها تبكي!

تحمّلتْ فرّوخ مقاطعة زارين لها بصبرٍ وطُولِ أناة، ثم التفتتْ إلى فايزة مجدداً:

-الآن يا آنسة، أخبريني ماذا حدث؟ قولي شيئاً.. أيَّ شيء..

لكنّ فايزة واصلت البكاءَ غيرَ قادرةٍ على قول أيّ شيء.

أضافت مونيس:

-سيدتي العزيزة، دعيني أخبركِ بأنني قد عقدتُ العزم على السفر إلى الهند، ومن ثمّ إلى الشرق الأقصى. وذلك لكي أُعلّم نفسي الكثير من الأشياء، ولكيلا يقرّر الآخرون عني ما يجب عليّ أنْ أؤمن به، وما لا يجبُ أن أؤمن به. لا أريد أن أضيّع حياتي كلّها جاهلةً لا أعرف شيئاً عن الحقائق الغيبيّة. بالطبع، هم يقولون لنا إنّ الجهل نعمةٌ وبرَكَة، لكنني قرّرتُ السيرَ في طريق التنوير حتى ولو كان ذلك يعني الكثير من الشقاء والمعاناة. في الحالة الطبيعية، عندما يباشِرُ المرءُ في أي رحلة، فإنّ ذلك ينطوي على شيءٍ من المجازَفة والمغامرة في حدّ ذاته. وبعدها، إمّا أنْ تكون لديه القدرةُ على تحمُّل العذاب وتجاوُزه أو لا. وإذا لم يستطعْ، فإنّ عليه العودة إلى القطيع مثل خروفٍ بائسٍ مسكين. وحتى عندما يحدث ذلك، ولأنه كان قد بادرَ وتمرّدَ عن القطيع، فسوف يعتبره الآخرون وكأنه أجرَب. وهكذا يتحاشَونَه ويتجنّبونه، ثم تنبذُهُ الجماعة. وعند ذلك أيضاً، سيكون لديه واحدٌ من احتمالين، إمّا أن يحتملَ الوضعَ الجديد الذي وصلَ إليه أو لا، وفي الحالة الأخيرة لن يبقى أمامه سوى أنْ يقتلَ نفسه.

توقّفتْ مونيس لبُرهةٍ، نظرتْ إلى المستمعين المشدوهين من حولها، ثم أكملت:

-ما سأرويه يتقاطع كثيراً مع ما أشرتُ إليه قبل قليل. لقد شاءت المصادفةُ أن تكون هذه الصديقة القديمة رفيقتي في السفر،

فقد كنتُ خائفةً من أنْ أتركها خلفي، لأنها كانتْ ستؤذي شخصاً آخرَ هو -في الواقع- وغدٌ وبائسٌ ومغلوبٌ على أمرِهِ أكثَرَ منها. لا أعرف لماذا حسِبتُ أنّ المخرجَ الوحيد من طهران يكون عن طريق كَرَج. هل يمكنكِ أنْ تتخيّلي ذلك؟ الآنَ أدركُ أن هنالك طُرُقاً أخرى إلى خارج طهران، إذ يمكنكِ المغادرةُ عن طريق المطار أو عن طريق مدينتي الرّيّ ونيافاران، لكنْ لم يخطر في بالي سوى كَرَج. كنا نسيرُ على الطريق حينما توقّفتْ شاحنةٌ أمامنا، ثم ترجَّلَ منها سائقان واغتصبانا. بالطبع، فأنا أرى سِرّاً وراءَ كلّ ذلك، وأشعرُ أنّ هنالك قوةً غامضةً أرادتْ أنْ تُجابهني بعَيِّنةٍ من المصائب التي سأُواجِهُها خلال رحلتي هذه. أما صديقتي المسكينة هذه، فمن سوء حظّها أنْ كانت مرافقتي. إنني أفكّر الآن في هذه التجربة المريرة، وأخطُو الخطوةَ الأولى لاكتشافِ شريعةٍ جديدة، أعني مجموعةً من القوانين الجديدة. عندما كنا نسيرُ على الطريق، كنتُ أفكّرُ بعددِ الأشخاص الذين ماتوا غرقاً إلى أنْ تمكّنَ الإنسانُ الأوّلُ من تعلُّم السباحة. بالرغم من ذلك، ما زال هنالك بشرٌ يغرقون. في كل الأحوال، ليستْ هذي الأفكارُ كافيةً لمواساةِ صديقتي البائسة.

حاولتْ فايزة أنْ تكبح بكاءَها وشهقاتها بما يكفي لتُقاطِع كلامَ مونيس المنفرد. وقد وجَّهتْ كلامها إلى فرّوخ:

-يا خانُم... لقد كنتُ عذراء، وأردتُ أنْ أتزوّج في يوم من الأيام. كيف يمكنني أنْ أتصرّف الآن مع عارِ فقدانِ عُذريّتي؟ كيف يمكنني أنْ أعيش مع هذه الفضيحة الـمُشينة؟

تدخّلتْ مونيس:

-لكن يا فتاتي الصغيرة، كنتُ أنا عذراء أيضاً. فلْتذهَبِ العُذريّةُ إلى الجحيم! وماذا في الأمر إذا لم نعُدْ عذراوَين بعد اليوم؟ من يأبهُ لذلك؟

-لأنكِ في الثامنة والثلاثين من العمر، لم تعُدْ للعذرية أيُّ فائدةٍ بالنسبة إليك. أما أنا ففي الثامنة والعشرين، وما زالت لديّ الفرصةُ لأنْ أحصلَ على زوج.

أصيبتْ فرّوخ بصدمةٍ كبيرة، واعتبرتْ هذه المرأة وقحةً جداً وعديمةَ الإحساس، فكيف تتحدّثُ عن عمر صديقتها بهذي الطريقة؟ على أية حال، وقبل أن تتمكن من التعليق على الموضوع، التفتتْ مونيس إليها وقالت:

-لا يا فرّوخ خانُم، إنها ليستْ وقحة. هي تعرفُ أنني أقرأ ما في الأذهان، هذا هو الأمر ببساطة. أنا أعرف ما يجول في رأسها، ولهذا فقد تعلّمتْ أن تكون صريحةً معي.

أكملتْ فايزة:

-بالإضافة إلى ذلك، يمكنكِ أنْ تغيّـري شكْلَ وجهكِ بُؤبُؤيّ عينيك، فلماذا لم تُعاقبي هذين الرجُلين على ما فعلاه بنا؟

-يا حبيبة القلب، إنني أستطيع قراءة ما في الأذهان فقط. بالإضافة إلى أنني كنتُ أودُّ معاقبتهما، لكنني لم أُضْطَـرَّ إلى ذلك، فقد جَنيَا على نفسِهما بنفسِهما.

سألتْ فروخ:

-وكيف ذلك؟

-بعد بضعة أميالٍ، اصطدمت الشاحنة وتحطّمت. لم أكن مضطرة لأنْ أُحرّك إصبعاً.

اعترضتْ فايزة:

-هذا غيرُ صحيح، إذ أننا لم نرَ أيّة حوادث على الطريق.

-يا عزيزني، لقد مضينا في طريقٍ جانبيٍّ عبر التلال، لكي نتجنّبَ لقاءاتٍ أُخرى مع مُغتصِبينَ آخرين. لكنني أعرف أنّ الشاحنة قد تحطّمت.

سألت فروخ بعدما استُثير فضولها:

-وكيف عرفتِ ذلك؟

-إنني عرفتُ فحسب، أنا أقرأ الأفكار.

-هل يمكنكِ حقاً أن تقرئي ما في الأذهان؟

-نعم يا خانُم، فعلى سبيل المثال؛ حضرتُكِ تريدين أنْ تصبحي عضواً في البرلمان. وهذه الفتاة المسكينة الجالسة هناك، كانت مُومِساً حتى الأمس. إنني أعرف هذي الأشياء تلقائياً.

سألتْ فرّوخ كمَن يتوقّعُ الإجابة سلفاً:

-هل تريدانِ البقاءَ معنا هنا؟

أجابتْ مونيس:

-بالطبع! فلسوء الحظّ، لم نصلْ إلى زمنٍ تستطيعُ فيه المرأةُ أنْ تسافر لوحدها. إذ يجبُ عليها إما أنْ تكون غيرَ مرئية، أو أن تظلَّ مُدجَّنة في البيت. مشكلتي هي أنني لم أعدْ أستطيع أنْ أبقى حبيسةَ المنزل بعد اليوم، مع أنه واجبٌ عليّ، لماذا؟ لأنني امرأة. قد أتمكّنُ من إحداثِ تقدُّمٍ ما في وقتٍ من الأوقات، لكنني -بعد ذلك- سأُرغَمُ على البقاء في المنزل لفترةٍ معيّنة. ربما هذه هي الطريقةُ الوحيدة التي سوف أتمكّنُ فيها من رؤية العالم، هكذا... وكأنّ رحلتي على ظهر سُلحفاة. ولذلك أقبلُ دعوتكِ شاكرةً وممتنّة.

كادت فرّوخ أنْ تطير فرحاً، فخاطبتِ النسوة:

-يا بنات! أريدُ أن أُضيفَ تحسيناتٍ إلى الفيلا! وهنالك أيضاً البستانيُّ الذي يستطيع القيام بأعمال البناء. إنهُ الذَّكَرُ الوحيدُ الذي سوف نبقيه معنا، وسنبدأ بالعمل في أقرب وقتٍ ممكن.

أعلنتْ مونيس:

-هذه فكرةٌ رائعة! كنتُ أعرفُ ذلك سَلَفاً، وها أنا ذا أتنبّأُ بنجاحها.

التفتت فرّوخ إلى فايزة التي ما زالتْ تبكي وتشهق، وقالت لكي تُواسيها:

-لا تقلقي... يُمكنك العيشُ من دون عُذرية، فقد عشتُ من دونها لمدة ثلاثٍ وثلاثين سنة.

أجابتْ فايزة بصدرٍ مُنقَبِض:

-ماذا سيحدُثُ لسُمعتي؟ كيف يمكنني أنْ أُبرّر ذلك لزوجي في ليلة الزفاف؟

قالتْ مونيس:

-إذا وصلتِ الأمورُ إلى هناك، فإنني سأصنعُ شيئاً يجعلُ زوجكِ لا يكتشفُ الأمرَ أبداً. وها أنتِ تعرفينني جيداً، أنا التي تغيّـرُ شكلَ وجهها كما تشاء.

سألتْ فايزة بنبرةٍ اتهاميّة:

-فلماذا لم تفعلي شيئاً لتمنعي الاعتداءَ الذي قام به الوحشان الخارجانِ من الشاحنة؟

-يا عزيزتي! لقد متُّ وعدتُ إلى الحياة مرّتين من قبلُ، ولذا فأنا أرى الأشياءَ بطريقةٍ مختلفة. اللهُ أعلمُ.. ربُّما كنتُ سأطيرُ لو كان لديّ جناحان، لكن روحي ما زالتْ متعلّقة بالأمور الأرضيّة. صدِّقيني.. لنْ تكون للعُذرية أيّةُ عاقبةٍ أو أثر. وعندما تجدين زوجاً؛ فسوف أتدبّرُ الأمر وأجعلُكِ تعيشين معه في مُنتهى السعادة الزوجيّة.

توقفتْ فايزة عن البكاء وهدأتْ أخيراً. وبينما كُنَّ ينتظرْنَ وصُول الأثاثِ ومعدّات البناء، راحتْ كلُّ واحدةٍ منهنَّ تروي قصة حياتها للأُخريات.

بُستان فرّوخ

(الجزء الثاني)

عند قدوم الربيع، تحوّل البستان إلى جنّة مُزهرة. كان البستانيُّ على حقّ، فإنّ أصابعهُ خضراء بكلّ معنى الكلمة، كُلُّ ما كان يفعلُه هو أنْ يلمس إحدى الشُجيرات فتُفتِّحَ مائة زهرةٍ جديدة في الأسبوع التالي.

قام الجميعُ بترميم البيت معاً، لكنّ فرّوخ لم تنخرط في العمل بنفسها، بل كانت تتنقّل بينهم على الدوام لتُملي أوامرها وتدقّق في التفاصيل كلّها. استغرقَ العملُ فصل الخريف حتى أُنجِزَ كاملاً. قام البستانيّ بتوزيع مهامٍ مختلفةٍ على كلّ واحدة من النساء: كانت زارين كولاه تجبلُ الملاط، ثم تنقله مونيس إلى مكان البناء، أما فايزة فكانت تنقلُ الطُّوب بعربةٍ يدويّة، بينما يقوم البستاني بأعمال البناء الفعليّة. مع نهاية الخريف صار للبيت ستُّ غرفٍ وثلاثة حمّاماتٍ وثلاثة مراحيض.

في الأيام المشمسة، كانت فرّوخ تسترخي قرب البركة وتُعاين بعينينِ راضيتين سيرورةَ العمل وتقدمه. وفي بعض الأحيان، تأخذُ زارين لترافقها في رحلاتِ التسوُّق إلى المدينة، كان يغمرُها

الإحساسُ بالإنجاز لأنّ المشروع يسيرُ وفقاً لمخططها. عندما انتهت أعمالُ الترميم عند نهاية الخريف، خصَّصتْ فرّوخ واحدةً من الغرف لفايزة ومونيس اللتين أصبحتا رفيقتيها المقرّبتين ومستشارتيها المفضَّلتين. وبينما كانت فايزة تديرُ شؤون المطبخ، كانت مونيس تقوم بالأعمال المنزلية الأخرى، أما فرّوخ فتشرُف بنفسها على ترتيب الأثاث والديكور. طلبَ البستانيُّ أن يبني كوخاً صغيراً لنفسه في آخر البستان، هناك بجوار النهر، وقد حصل على الموافقة. كما طلبَ بأنْ يُسمَح لزارين كولاه بأنْ تساعده في هذه المهمة.

وفي المدة المحددة لذلك، بنى البستانيُّ كوخاً على ضفة النهر، في الجانب المقابل لشجرة مهدَخْت مباشرةً، والتي لم تُنبتْ أيّة فروعٍ أو أوراق حتى الآن.

كان عقمُ الشجرة يثيرُ مخاوف فروخ، لكنّ البستانيّ طمأنها بأنها سوف تُـزهر بالكامل عند قدوم الربيع. كما أضاف بأنّ الشجرة البشَرية ليستْ كغيرها من الأشجار، فهي تحتاجُ إلى حليبِ ثديٍ بشريّ لكي تكبرَ وتنمو. ارتبكتْ فرّوخ عند سماع ذلك واحتارتْ في أمرها، فهي لم تستطع أن تجدَ أيَّ مصدرٍ للحليب البشريّ.

قال البستاني:

-لا تقلقي، سوف أتزوّج من زارين كولاه، ولسَوف تَدُرُّ اللَّبَـن عندما تضعُ طفلاً. وهكذا نُخصِّبُ الشجرةَ من حليبها.

اقترحتْ فايزة دعوةَ المأذونِ لكي يكتبَ عقدَ القِران وفقاً للشرع. لكنّ البستاني لم يوافق على ذلك، وقال إنه يستطيع فعلَ ذلك بنفسه

ومن دون أنْ يقدّم منفعةً لرجال الدين. بالنسبة إلى فايزة، فإنّ زواجاً كهذا ليس شرعيّاً. بقيتْ مونيس خارج هذا النقاش، ولم تستثِرْ قدرتها على قراءة الأذهان في ذلك. كما اتّخذت فروخ موقفاً محايداً، فلم تكن مع هذا الجانب أو ذاك، طالما أنّ حليبَ ثديٍ سوف يُرضع الشجرة مثلما وعدَ البستانيّ.مكتبة سُر مَن قرأ

كانت زارين كُولاه تقضي معظمَ وقتها إلى جانب البستاني، تساعده في أعماله. وقد علَّمها البناءَ بالطُّوب، وزراعة الأشجار وتنسيقَ الحدائق، والطبخ والتطريز. كانت زارين تترنُّم -دوماً- وهي تتجوّل من مكانٍ إلى آخر في أرجاء البستان، وهو شيءٌ كان يزعج فايزة التي كانت تنظر إليها نظرةً دونيّة، وتعتبرها مُنحلّة الأخلاق ومبتهجةً وهازلة على الدوام، كما لو أنها مُجبَرةٌ على الضحك لكي تثبتَ أنها على قيد الحياة. لم تكن فايزة تحتملُ هذا النوع من البشر، لكنها لم تجعلْ موقفها منها يتعارضُ مع رضاها العام عن وضعها الراهن هنا. في بعض الأحيان، كانت تشعرُ بلَوثةِ حزنٍ حينما تفكّر بأمير خان، فهي ما زالت تحتفظُ -في أعماقها- بتوقٍ حميم إلى الزواج منه. لم يكن ذلك نابعاً من حبّـها لهُ؛ بقدْرِ ما كان رغبةً في تحقيق ذاتها، أنْ يكون أمير زوجها... هذا هو الإثباتُ الفعليّ لأنوثتها.

ثابرتْ فرّوخ على خُطَطها في أنْ تصبح عضواً في البرلمان، كانت تنتظرُ الانتهاء من ترميم المنزل بقلبٍ نفدَ صبرُه، وذلك لكي تبدأ بناءَ صداقاتٍ مع مشاهير الفنّ وعلاقاتٍ مع أصحاب النفوذ. وبعد أخذِ استشارة مونيس، توصَّلتْ إلى نتيجةٍ مفادُها؛ أنها إذا أرادتْ أن تصنعَ

لنفسِها اسماً معروفاً؛ فيجبُ عليها أنْ تكتب الشِّعر وتنشرَه في الصحف والمجلات. صارت فرّوخ مفتونةً بهذه الفكرة، فراحتْ تقضي معظم وقتها في كتابة القصائد.

مع بداية الشتاء، باتَ المنزلُ جاهزاً لكي يملأهُ الناس. قامتْ فرّوخ بتأثيثِ قاعة الاستقبال على طراز صالونات الحفلات الموسيقية، إذ زوَّدته بأثاثٍ مُريح وثريّاتٍ ورفوفٍ للكتب؛ تتصدَّرُها عشراتُ الأنثولوجيات الشعرية التي اقتنتْها من متجرٍ للكتب. كما اشترتْ شمعداناتٍ كبيرةً مزوّدة برسُوماتٍ لفراشاتٍ تحترقُ بلَهَبِ الشُّمُوع، ما يُحيي في القلبِ الأثرَ العاطفيَّ لتلك الصُّورة المجازية الخالدة. وكذلك خزّنتْ في القبو تشكيلةً متنوّعة من النبيذ والمشروباتِ الكحولية الأخرى، لكي تضمنَ تغذيةً لا تنضبُ أثناء الحفلات.

بعد ذلك جاءت مهمّةُ تنظيم قائمة الضيوف وإرسال الدعوات. كان مُرحَّباً بالضيوف أنْ يصلوا في صباحات أيّام الجُمَع، وأنْ يمكثوا حتى الساعات الأولى من صباح اليوم التالي. كانت الخِرافُ تُذبَح وتُقطَّعُ عند الجزّار المحليّ، في كل صباحٍ من أيام الجُمع، ثم تُرسَل إلى المطبخ لكي تُحضَّر الأطباقُ الفاخرةُ تحت إشرافِ مونيس وفايزة. أما زارين فكانت تقوم بالأعمال الأبسط والأسهل. انتشرتْ أخبارُ فرّوخ وكرمِ ضيافتها سريعاً بين الأصدقاء، وصار هنالك معارفُ جُددٌ يأتون إلى الفيلا بأعدادٍ كبيرة في أيام الجُمَع. لم تكن تذكُرُ كلمةً واحدةً عن الشجرة أمام الضيوف، تِبعاً لأوامر البستانيّ الذي أرادَها أنْ تنتظر إلى أنْ تغدو الشجرةُ في حالةِ إزهارٍ كاملٍ في قادم الأيام.

ما عادت زارين تذهب إلى المنزل، فهي تقضي كامل وقتها في الكوخ. وعندما استفسَرتْ مونيس حول الموضوع، أجابَ البستانيُّ بأنهما يستيقظانِ عند الفجر من كلّ يوم، ويجمعان قطراتِ الندى من فوق النباتاتِ والأعشابِ لكي يسقِيَا الشجرة بها. فبما أنّ زارين لـمّا تنجبْ طفلها بعدُ، فإنّ صدرها لا يَدُرُّ حليباً.

لم تكنْ مونيس قادرةً على أنْ تخترق ذهنَ البستانيّ لتعرفَ أفكارَه، فاكتفتْ بأنْ طلبتْ منه أنْ ترافقهما أثناءَ جمع قطرات الندى. وافقَ البستاني، وصار الثلاثةُ يُمضون ساعاتِ الصباح الأولى في جَمْع قطرات الندى، ثم يقوم البستاني بسقاية الشجرة منها، وفقَ هذه الطريقة السرية.

مع الأيام الأولى من نيسان، أزهرت الشجرةُ بالكامل، وصارت تشاركُ طيورَ الغناء في زغاريدها الآسِرة. كانت فرّوخ تتوقُ إلى أنْ تتباهى بالشجرة أمام ضيوفها، لكنّ البستاني لم يسمح لها بذلك، إذ أجاب بحزم:

-لم يَحِنِ الوقتُ المناسب بعد.

في الحقيقة لم تكن فروخ نفسُها تزور الشجرة كثيراً. لكنها استاءتْ من تعليماتِ البستانيّ المتشدّدة، واحتفظتْ بالحُنقِ لنفسها خشيةَ أنْ يغضب البستانيُّ أو ينفر منها، فهي ما زالت تحتاج إليه كثيراً. بالإضافة إلى أنها كانت مشغولةً جداً في محاولتها لكتابة الشِّعر، إذ صار مِن بين زوّار صباحات الجُمَع مجموعةٌ من الصحافيّين والشُّعراءِ والروائيّين والرّسامين والمصوّرين، وأحسّت أنها بحاجةٍ إلى أنْ تصنع

شيئاً لكي تدخلَ في حلْقتهم. أثناء أوقاتِ الفراغ، كانت مونيس تجلُس معها وتقدّمُ لها الدَّعم اللازم، والتشجيعَ لمواصلة جهودها في كتابة الشعر. بينما كانت فايزة متشائمةً من إمكانيّة نجاح ذلك، لكنها تخافُ من أنْ تقرأ مونيسُ ما يجول في ذهنها، ولذلك حاولتْ ألّا تفكر في الأمر كثيراً. في بعض الأحيان، وحين تكون بعيدةً بشكلٍ كافٍ عن مونيس، وواثقةً بأنّ المسافة تشكّلُ حاجزاً بين ذهنها وتطفُّلاتِ مونيس، كانت تفكّر بأنّ هذا المشروع غبيّ بأكمله، وكانت تلومُ مونيس ذات الوجه المدوَّر على خلْقِ هذا الوهم في فروخ، وإقناعها بأنها ستصيرُ شاعرة. كانت فايزة تعترفُ بأنّ لدى مونيس قدراتٍ معينة، من بينها قراءةُ الأذهان وتحويلُ شكْلِ الوجه إلى مستطيل. لكنها -رغمَ ذلك- وُلِدتْ بوجهٍ مدوَّر، ولذلك فهي لن تستطيع التخلُّص من سَذَاجتها الفطريّة ومستوى ذكائها المنخفض .

ها قد مضى شهرُ نيسان بأكمله، ولم تستطع فروخ أنْ تكتب قصيدةً واحدة.

في إحدى صباحات الجُمع، كان هنالك تدفُّقٌ مفاجئٌ لأعدادٍ من الضيوف إلى الفيلا، أكثر من أي يوم مضى، إذ كانوا حوالي مائة شخص تقريباً. أُصيبتْ فروخ بما يشبه الجنون المؤقّت، فأرسلتْ مونيس وفايزة للعمل في المطبخ، ثم بدأتِ البحث عن زارين كولاه دون جدوى، وفجأةً شعرتْ بموجةِ غضبٍ تجاهها، فهي لا تؤدي ما يجبُ عليها من الأعمال مثل بقيّة النسوة، وهي بالتالي لا تستحقُّ ما يُقدَّم لها. ثم لمحت البستانيّ بين الزُحام، فصرخت في وجهه:

-كُرمى لله! قُلْ لزوجتكَ أن تأتي وتساعد البنتين في المطبخ، لقد تكسَّرَتا من كثرة الشُّغل.

قال البستاني بهدوء:

-هذا غير ممكن، فقد صارتْ حُبلى منذ الليلة الماضية، ومن المفترض ألا تتحرّك طيلة الأشهر التسعة القادمة.

انفجرتْ فروخ غاضبة:

-أيها الأحمق! أولاً، كيف عرفتَ أنها قد حَبِلَتْ ليلةَ البارحة؟ ثانياً، ماذا بوسعي أنْ أفعل لكلّ هؤلاء الضيوف المحتشدين؟

أجاب البستاني ببُـرودٍ وثقة:

-لا تغضبي، سوف أجعلَ الشجرة تغنّي، وهذا سيُـريحهم ويجعلُهم ينْسُون أمرَ الجوع. يمكنك الاحتفاظُ بالطعام لنفسك، وفوق ذلك؛ توقّفي عن دعوة الضيوف إلى أن تتمكّني من كتابة الشِّعر. ما الفائدة منهم؟ إنهم يستغلُّون كرمَ ضيافتك دون أنْ يقدّموا لكِ أيَّ فائدة؟

بعدما غادر البستانيُّ بقليل، صار الغناءُ مسموعاً في كلّ مكان من البستان. صمتَ الضيوفُ جميعاً ورسَخُوا في أماكنهم. كان الأمرُ... كما لو أنّ قطْرة ماءٍ بحجْمِ المحيط قد غمرَتْـهُـم جميعاً، ثمّ تسرَّبتْ ببطءٍ عبْـرَ طبقاتِ الأرض، مُتّحدةً مع آلاف العناصر، وهي تمضي في طريقها إلى نُواة الأرض بحركةٍ راقصةٍ ومتناغمة، لا بدايةَ لها ولا نهاية، بطيئةٍ وسريعة في الوقت ذاته. ارتفعتْ أذرُعُ الضيوف إلى

الأعلى، وراحتْ تتمايلُ فوق الرؤوس، بدَتْ وكأنّها حبالٌ تتدلّى من السماء. ثم صارتْ تتأرجحُ سريعاً فبَدَتْ مثل ظلالٍ تتراقص.

همسَتْ مونيسُ في أُذن فرّوخ:

- لاحظيْ كم السماءُ قريبةٌ منّا!

- ثمةَ سماءٌ في قلبِ سماءٍ في قلبِ سماء...

لاحظتْ فروخُ أنّ مونيسَ قد أغمضتْ عينيها، كما لو أنها تحدّقُ في أفقٍ بعيد... بعيدٍ ما وراءَ الأجفان. وضعتْ فرّوخُ ساقاً على ساقٍ ولذَّتْ فخذَيها على بعضهما في نشوةٍ لذيذة، ثم ألقتْ نظرةً على الضيوف الذين كانوا مُنْبَهرين من هذي الحال، وحائرين في فهمها.

بعد ذلك حلَّ سديمٌ أخضر، غمرَ كلَّ الأشخاص وكلَّ الأشياء، لونٌ واحدٌ من ألوانِ الطيفِ طغى على سائر الألوان. ذابَ الحاضرون جميعاً في السَّديم، ثمّ تقطَّروا مثلَ قطراتِ الندى حين تسَّاقَطُ من فمِ الأوراق.

عندما حلَّ الليل، توقّفت الشجرةُ عن الغناء. ثم غادر الضيوفُ دون كلامٍ أو ضوضاء، مفتونين بالأغنية التي سمعوها.

توقّفت فروخ عن دعوة الضيوف إلى الفيلا بعد ذلك اليوم، فقد أخذتْ عهداً على نفسها بألّا تدعو أحداً قبل أنْ تكتبَ بعض الشعر. كانت تحبسُ نفسَها في قاعة الموسيقى طُول النهار، وتحاولُ أنْ تؤلّفَ بيتاً واحداً. كانت مونيس تقضي معظمَ أوقاتها مع البستاني وزوجته التي توقّفتْ عن الكلام منذ بداية حَمْلها، فكانت تجلس عند النافذة

وتراقبُ النهر في صمت. واصلت مونيسُ والبستانيُّ جمع قطرات الندى من أجل سقاية الشجرة، كما واظَبَا على الاعتناء بـ زارين في حالتها الضعيفة هذه. كان شكْلُ جسدها يتغيّـرُ كلّما تقدّمت في الحمل، ويوماً بعد يوم كانتْ تصبحُ شفّافةً أكثرَ فأكثر، مثل الكريستال، معَ ضُوءٍ يشعُّ من داخلها. كانت مونيس تحدّقُ فيها أثناء جلوسها عند النافذة لتشاهد جَرَيان النهر، وكانت ترى النهر عبْرَ جسدها الشفّاف .

في الجانب الآخر من البستان، باتتْ فايزة متروكةً لوحدها، ولم يعُدْ هنالك ضيوفٌ جدُدٌ لكي تطبخَ لهم، وتتلّقى منهم عباراتِ الثناء والإطراء على مهارتها في فنون الطبخ. كانت فرّوخ قد وضعتْ نفسَها في عزلةٍ تامةٍ في قاعة الموسيقى، بينما انتقلتْ مونيس -فعلياً- إلى كوخ البستاني، وصارت نادراً ما تمكثُ في الفيلا. لم تكن فايزة تجد أحداً لكي تتحدّث إليه، فحتى البستانيُّ كان مشغولاً طُول الوقت بأعماله، فأحسَّتْ بالوحدة والوحشة. في بعض الأيام، كانت ترتدي ملابسها وتذهبُ في رحلةٍ نهاريةٍ إلى طهران. وفي تلك المشاوير، كانت تتقصّدُ المرور من أمام بيت أمير خان. وحين كانت تلتقيه «مُصادفة»، كانَ كلٌّ منهما يُحيّـي الآخرَ بإيماءةٍ من رأسه.

كان ذلك في أواخر أيلول، عندما أحسَّتْ فرّوخ بأنها قد اكتسبَتْ مهارةَ الكتابة على أوزان الشِّعر وقوافيه. فخرجتْ من الغرفة أخيراً وجلستْ على هيكل السرير قرب البركة، ثم نادتْ مونيس التي كانت تسقي أحواض الورد، لكي تستمعَ إلى آخر إبداعاتها.

-مونيس يا عزيزتي، في الحقيقة هذه ليستْ قصيدةً كما ينبغي، لكنني أعتقدُ.. إذا ما واصلتُ العمل عليها.. سوف تصبح قصيدةً حقيقية.. خلال عامين فقط..

شجَّعتْـها مونيس لكي تبدأ بالقراءة. لكنها تردّدت من جديد:

-مثلما قلتُ لك، هذه ليست قصيدة في الحقيقة، إنها تجربةٌ للكتابةِ على الوزن والقافية.

بوِجْنَتَينِ تورَّدتَا بمزيجٍ من الإثارةِ والاستحياء؛ بدأتْ فرّوخ الإلقاء:

«يا آنيةَ السُكَّرِ.. خاليةً من حبّةِ سُكَّرْ / يا سِنْداناً من دونِ اسْكَافْ

يا ضحكةَ حزنٍ، يا نبتةَ لَبْلابٍ تتسلّقُ فوق جدارْ

يا مانحةَ العدلِ، ويا أفعى القلبِ.. كمَنْ يبحثُ في رملِ الشاطئِ عن أصدافْ

يا مِغْناجاً كمَلَاكٍ مَرِحٍ، كالجنّية، كحَمامٍ يشتاقُ إلى الدارْ

بجناحٍ مكسُورٍ، ومخالبَ محتَّـها الأزمانْ

يا مانحةَ الراحةِ والخيرِ وواهبةَ البُشْرى

هل غادرتِ؟ نهائياً؟ ما عادتْ تُبصرُكِ العينانْ؟

لكنَّ لقلبكِ مرآةً تتجلّى فيها نفسِي الحَيْـرى!

ماذا ينتظرُ الملآى بالغمِّ.. الـمَمْسُوسَة بجنونٍ أكبَـرْ؟

ماذا سنقولُ لِقِـرْدٍ مَـيْـتٍ.. لبقايا إنسانٍ مهزومْ؟

الحزنُ يغطّي قلبي، لا تختبريهِ.. فلنْ يقدرْ

يا سيّدة النُعمى، قُولي للقلبِ بألّا ينبضَ بعد اليومْ!

قلبي.. كمعابدَ دمَّرَها الدهرُ، أنا الثَّـكْـلى

من شَوقي للمعشوقِ الأنقى والأعلى» !

ظلّتْ فرّوخ صامتةً، تنظرُ بقلقٍ إلى مونيس التي أخفضتْ رأسَها وراحتْ تحدّقُ في أصابعِ قدميها. كسَرتْ فرّوخ هذا الصمت العصيب:

–ما رأيكِ؟ أعرفُ أنها مليئةٌ بالعثراتِ والتعابير غير الموفّقة. لكنني لم أكتبْ قصيدةً من قبل، هذه أوّلُ قصيدة أُكمِلُ كتابتها.

قالت مونيس بعد صمتٍ:

–دعيني أقرأها، لأنني لم أفهمها تماماً عند سماعها.

أعطتْ فرّوخ الورقةَ لمونيس التي شرعتْ تقرأُ في صمت، مركِّزةً جُلّ انتباهها على النصّ، بينما كانت فروخ مذعورةً ممّا تنتظر. هي لم تكن تعتبرُ مونيسَ ناقدة أدبية، لكنها قارئةٌ في كل الأحوال، ولديها ذائقةٌ أدبية لا بأس بها. أثناء انتظارها المتوتّر، كانت فروخ تحرّكُ ناظريها من البركة نحو الأشجار، ثم من الأشجار نحو البركة.

نطقتْ مونيس أخيراً:

–اعذريني، لماذا بدأت القصيدة بـ «**يا آنية السُّكَّرِ.. خاليةً من حبّة سُكَّر**»؟

وكما لو أنها كانت تتوقّع هذا السؤال، ابتسمتْ فروخ بحبُور وقالت:

-كما تعرفين، أنا شَغُوفةٌ بتأمُّل الأشياء، ولطالما نظرتُ إلى أواني السُّكّر. ألا تعتقدين بأنّ آنيةَ السُّكّر الفارغة تبدو حزينةً جداً؟

أومأتْ مونيس برأسها موافقةً:

-قد يكون ذلك حقاً. لكنْ "يا سِنْداناً من دون اسْكافْ" تبدو غريبةً، أليسَ السِّنْدانُ مرتبطاً بالحدَّادين؟

امتعضَتْ فرّوخ من هذه الملاحظة، وأرادتْ أنْ تُجادِلَ وتبيّـنَ وجهة نظرها، لكنّها لم تكن هي نفسُها مقتنعةً بها:

-هل أنتِ متأكّدة؟

-حسبَ حدود معرفتي.

-إذاً، ماذا يُسمَّـى ذاك الذي يستخدُمه الأَسَاكِفَة؟

لم تستطعْ مونيس أنْ تجدَ له اسماً، رغمَ أنها تملكُ بحراً واسعاً من المفردات.

فكّرتْ فروخ في الأمر:

-في حال غيّـرتُـها إلى "حدَّاد"، فإنّ بناءَ القصيدة بأكمله سوف يتغيّـر.

-قد لا يكون ذلك بالأمر السيّـئ، ففي وضعها الحاليّ، تبدو

بعضُ القوافي غيرَ منطقيّةٍ أبداً. ربما يمكنكِ أنْ تُعيدي بناءَ القصيدة حول فكرة «الحدَّاد». بعضُ التعابير الأخرى، مثل «يا أفعى القلب» و«القرد الميت»... تجذبُ انتباهَ القارئ، لكنها لا تبدو معقولةً أيضاً، وربما سوف تتناسب أكثر مع «الحدّاد».

تضَعْضَعَتْ معنويَّاتُ فرّوخ وتَـهَاوَتْ، حتى أنّ مونيس كانت ترى بوضوح؛ أنّ فروخ تشاهدُ في عينِ قلبها انهيارَ قلعةِ أحلامها حجراً حجراً.

قالت مونيس متعاطفةً معها:

-لا تتضايقي كثيراً من أجل الشِّعر، ثمّة وسائلُ أخرى للنجاح. إنني أفكّر في ذاك الرسَّام الذي زارنا في آخر حفلة أقمناها، أكادُ أرى أنه يتوقُ إلى رسْمِ بورتريه لك. دعيهِ يفعلُ ذلك ثمّ ادفعي لهُ بسخاء، سوف ينتشرُ الخبرُ هنا وهناك ويخطِفُ انتباهَ أهلِ الحلِّ والرَّبط. أنتِ في الأساس لديكِ علاقاتٌ مع بعضهم، فقط اقتربي منهم بصدقٍ وصراحة، وأخبريهم أنكِ تريدينَ أنْ تُصبحي عضواً في البرلمان، وسوف يساعدونك.

أحسَّتْ مونيس بأنّ فروخ قد توقّفتْ عن مشاهدة قلعةِ أحلامها وهي تتـهاوى حجراً تلو حجر، وأنّـها شرَعَتْ تفكّر في الأمرِ الجديد، وتنظرُ إلى الخطّة الـمُقترَحة بعينِ الاعتبار. قالتْ وكأنها عقدَتِ العزم:

-أفكّرُ أنْ أبدأ سلسلةً جديدةً من الحفلاتِ بدءاً من الأسبوع القادم. سوف أدعو مُسيَّب وأحمد، إذ أننا نحتاجُ إلى رجالٍ لكي

يخدموا الضيوف.

انطلقتِ الحفلاتُ في الأسبوع التالي، وفقاً للخطّة تماماً. وبشكلٍ تدريجيّ، بدأ بعضُ الأقاربِ يحضُرُون مع الضيوف، ومن بينهم أمير خان الذي جاءَ تحت ذريعة زيارة أخته. كان يبدو مُكبَّلاً ومقهوراً، ولم يكن يصطحبُ زوجته معه .

سألتْ فايزة مُتفاجئة:

-لماذا لم تُحضِرْ زوجتك معك؟

-إنها مشغولةٌ جداً، بالإضافة إلى كونها شخصاً غير اجتماعيّ. إنها ربّةُ منزل، وُلِدت لكي تهتمّ بشؤون المنزل.

-لا أوافقك في ذلك، ولا أعتقدُ أنّ أعمال المنزل تأخذُ وقتَ المرء كاملاً. ينبغي أنْ يكون للمرأة بُعْدٌ اجتماعيّ، لكي تساعد زوجها في تطوير علاقاته الاجتماعية. لا يمكن للمرءِ أنْ يبقى حبيسَ المطبخ إلى الأبد. على سبيل المثال؛ أنتَ لا تنوي أنْ تبقى موظفاً في أدنى درجاتِ السلَّم الوظيفيّ إلى الأبد، بل تُريد أن تتقدّم وترقى بنفسك إلى مناصبَ أعلى في المؤسّسة التي تعمل لديها. الطريقةُ التي تفعلُ فيها ذلك، هي أنْ تبني علاقاتٍ اجتماعية مع الأشخاص الـمُهمّين. لم أعدْ أعرفُ في الحقيقة عددَ الأشخاص الـمُهمّين الذين تعرّفتُ عليهم في الفترة الماضية، ما عليَّ الآن سوى أنْ أُشيرَ مجرّد إشارة؛ وسوف يساعدونني في أيّ مشكلة قد تواجهني.

سأل أمير خان متشوّقاً:

-وهل حدثَ وتعرّفتِ على السيّد عطر شان؟ ذاك الذي كان هنا الأسبوع الماضي؟ هل عرفتِهِ؟ ذاك القصيرُ الأصلع ذو الوجه الـمُحمَرّ دائماً؟

أجابتْ فايزة مؤكّدةً على صحّة ما قاله:

-بالطبع أعرفُهُ! إنه يدخّنُ الخشخاش مع السيّد مناقبي.

بدَتْ على أمير خان علاماتُ السرور، فقد سبقَ وأنْ ذكَرَ اسمَ الرجُلِ أمام فايزة من قبل، لكنها لم تسأله عن سببِ اهتمامه به، فهي لم تكن تريدُ أن تلعبَ دورَ الوسيط بينهما.

قبِلَتْ فرّوخ أنْ تكون موضُوعاً للوحة الرسَّام، وبالإضافة إلى أيام الجُمع؛ كان يأتي كذلك أيّامَ الثلاثاء ليعمل على البورتريه. كانت الخطّةُ تقضي بأن يُقيمَ الرسَّام معرِضاً فنيّاً، مُمَوّلاً بسخاءٍ من فروخ، يحتوي على مجموعةٍ متنوّعةٍ من اللّوحاتِ التي رسَمَها الرسَّام لها، أثناءَ تحضيره واشتغاله على البورتريه الرئيسيّ.

ما زالت مونيس تقضي معظم ساعات النهار في آخر البستان، تساعد البستاني في جمع قطرات الندى من أجل الشجرة. استلم مُسيَّب وأحمد مسؤولية المطبخ كاملة، مُستغنين عن أيّ حاجةٍ للنسوة في تقديم الطعام والشراب. مع اقتراب فصل الشتاء، باتت فروخ تفكّر في التخلُّص من النسوة، فالآن صارت تعرفُ كيف تُدير شؤونها بنفسها. كان موعدُ افتتاح المعرض في أواخر كانون الثاني، وكانت تفكّر في استئجار بيتٍ في طهران. أما بستان «كَرَج»، فسيصبح مكانَ إقامتها الصيفيّ فقط، ولهذا فلم تكن تجدُ للنسوة

مطرحاً في خُططها المستقبليّة.

في ليلة النصف من كانون الثاني، كان البستان مغموراً ببريقٍ سِرّانيٍّ ساطع. مونيس التي كانتْ نائمةً قرب إحدى النوافذ في الفيلا، أيقظها ذاك السُّطُوع، وتمتمتْ لنفسها:

-إنّها تلِدُ الآن!

ارتدتْ ملابسها على عجلٍ ومضتْ مُسرعةً نحو الكوخ. كانت قد هطلتْ كميّاتٌ كبيرة من الثلوج في تلك الليلة، وغطّت البستان كلَّه، فصار الضوءُ ينعكسُ وينتشرُ في جميع الاتجاهات، كما لو أنّ الكونَ بأكمله يتوهَّج.

كانت زارين في تلك الليلة.. كياناً من الكريستال الخالص، يعبُر الضوءُ من خلالها ويخرجُ في سبعة ألوان. لم يكن البستانيُّ قلقاً كما يبدو، إذ كان جالساً على الأرض.. يُصلِحُ خُفّيه. صرختْ مونيس عليه:

-يجبُ عليك أن تساعدها!

-لا تحتاج إلى مساعدة، فالمرأة الحقيقية تلِدُ من تلقاءِ نفسها.

قبل الفجر بقليل، جاء مجدُ الصباح إلى العالم.[15]

حملهُ البستاني بكفّيه المكوَّبتين ومضى به إلى ضفة النهر، إذ كان قد

(15). مجد الصباح أو نجمة الصباح: نوعٌ من نباتات الزينة المتسلّقة، يتميّز بنموّه السريع وبأنه يلتفُّ على أقربِ شيءٍ إليه. أما أزهاره الجميلةُ فتتنوّعُ ألوانها ما بين الأبيض والأزرق والأحمر والأرجوانيّ. [المترجم]

صنعَ لهُ مهداً في الرَّمل مُسبقاً، لكنه بات ممتلئاً بالثلج المتجمّد الآن. وضعَ النبتةَ الصغيرةَ على الجليدِ برفق.

زعقت مونيس:

-سوف يتجمّد!

-لن يموت، سوف يُنبِتُ جُذوراً وينمو.

عادا إلى الكوخ معاً، كانت زارين جالسةً بهدوء في منتصف السرير. لم تعُد كريستاليّةً بعد الآن، فقد عادتْ إلى شخصها السابق، مع ثديَين مُنتفخَين بالحليب. عانقها البستانيُّ بحنان، ثم قبَّل جبينها ويديها وراحَ يُمشّط خصلاتِ شَعرها برفق. ثم نزلَ إلى الأسفل وصارَ يُدلِّكُ قدميها.

قال البستاني بجدّية تامّة، وهو يمدُّ كوباً إلى زوجته:

-يجب الآن أنْ تُرضعي الشجرة.

-درَّتْ زارين حليبَـها في الكُوب، وملأته حتى الحواف.

قال لزوجته:

-الآن عودي إلى النوم، نوماً هنيئاً.

أخذ الكوبَ ومشى مع مونيس في اتّجاه الشجرة. التفتْ إليها وقال:

-لقد تجمّدتْ ودخلَتْ في سُبات. من الجيّد أنها تسْبِتُ في الشتاء، وهذا لكي تتفتّح في الربيع وتصبح شجرةً لا مثيلَ لجمالها.

راح يوزِّع الحليبَ على جذع الشجرة نقطةً تلو نقطة، وحينما انتهى من ذلك، أشرقتِ الشمسُ ورجَعَا إلى الكوخ. بعد ذلك تلمّستْ مونيس طريقَ عودتها إلى الفيلا ببطءٍ وتأنٍّ، وسْطَ البستان المتجلّد. كان لديها إحساسٌ بأنها ماتتْ من جديد، إذ لم يعُد هنالك شيءٌ يثيرُ استغرابها بعد اليوم. توقّفتْ أثناء الطريق قرب الشجرة، مالتْ برأسِها وألصقتْه على ساقها، وقالت:

-أحتاجُ إلى مساعدة.

بطريقة ما.. كانت مونيسُ تحسدُ تلك المومس، فقد انتصرت المومسُ بسهولةٍ فائقة، وارتقتْ إلى قُدسيّة النُّورِ دونَ جهدٍ أو تعب، بعفويةٍ كما لو أنها تضحك. لم تستطع مونيس أن تفهم ذلك اللُّغز، فبدأتْ تنوح:

-كيف يمكنني أنْ أتحوّلَ إلى ضوء؟

لم يكنْ هنالك أيُّ جواب.

كانت تنقصُها المقدرةُ على أنْ تصبح شجرة، إذ لم يكن ذلك من طبيعتها، ولم تكنْ هي خِصْبة أصلاً. كانت تعرفُ أنها تتعفّنُ من الداخل. كانت تعلمُ أنّ ما يقودُ الإنسانَ إلى صفاء النور هو الحبّ، وهو شيءٌ لم تعرفه ولا لمرة في حياتها. سبقَ لها أنْ بلغتْ تُخُوم الإعجاب، لكنّ محيطاتٍ كانتْ تفصلُها عن الحب. كانت تعرفُ أنّ الحب سيأتي إليها... لو استطاعتْ أنْ تُحسَّ -بصدقٍ- بجوهر الشجرة، هناك، ما وراءَ قشرتها القاسية. لكنّ الملمس الفيزيائي لتلك القسوة، كان يُعيقُها على الدوام. كانت واعيةً دوماً لخُبث الجنس

البشريّ، من دون أنْ تضعَ نفسَها تحت رحمته. هي لم تتعلّم أنْ تكون خبيثة، بل أنْ تعرفَ الخبثَ فحسب.

في الامتدادِ المهجورِ للطريق العام المؤدي إلى كَرَج، التقتْ مونيس وجهاً لوجهٍ مع شَهْوةٍ مُطلَقةِ العِنان، رغْمَ أنها كانت تعرفُ ما هي الشهوةُ من قبل أنْ تُلامسها حقاً. المشكلةُ هي أنّ لديها وعياً غير محدودٍ بالأشياء، وعياً غرسَ في نفسِها حذراً وحيطةً شديدين، وجعلَها خائفةً من أنْ يؤدي الفعلُ إلى الذلّ والعار. وذلك ما خلَقَ في نفسِها رغبةً في أنْ تكون عاديةَ وطبيعية، مع أنها لم تكن تعرفُ في الحقيقة ماذا يعني أنْ تكون عادية. لم تكن تعلُم أن ذلك يعني أنْ تحبَّ دودة الأرض، وأن تجثو بخشوعٍ في مذبح أوراقِ الشجر الذابلة، وأنْ تقفَ وتُصلّي عند سماعِ غناءِ القبّرة، وأنْ تتسلّق جبلاً لترى شُرُوق الشمس، وأنْ تسهرَ طُولَ الليل وأنتَ تحدّقُ في مجموعة الدُّبّ الأكبر. لم تكن تفرّقُ ما بين التراب والحصى، لكنها تميّـز ما بين الأرض والسماء. ولم تكنْ قد رَأتْ سَماواتِ الدُّنيا، لكنها تعلمُ أن هنالك دُنىً في السماء. كانت ترى نفسَها في سَيرورةِ جُمُودٍ لا مفرَّ منها، فلقد بدأتْ جُزئياً تتعفّنُ من الداخل. تساءلتْ بصوتٍ عالٍ:

-ماذا يمكنني أنْ أفعل بكلّ هذه الكميّة من المعارف التافهة؟ كيفَ لي أنْ أتخلَّص منها؟

كانت فروخ قد استيقظتْ ووقفتْ عند مدخل البيت ملتفّةً بوشَاحٍ من الصُّوف. ثم قالت بصوتٍ يظهرُ فيه الاستياء:

-لقد تجمَّدَ البيتُ من البرد، بالتأكيد أنكِ تركتِ البابَ

مفتوحاً.

كانت مونيس تعرف مُسبقاً أنّ فروخ ما عادتْ تريدُ النسوةَ في البيت، ولذلك قالت:

-أنا آسفة! لكنْ في رأيك.. ماذا يمكنني أنْ أفعل بكلّ هذه المعارف التافهة؟

سألت فروخ حائرةً:

-أي معارف تافهة؟

- أعني كلَّ هذه المعارف التافهة، فعلى سبيل المثال.. أنتِ تريدينا أنْ نخرج من المنزل، لماذا يجب عليّ أن أعرف ذلك؟!

هزّتْ فرّوخ كتفيها بلا مبالاة، فمنذُ الآن تعلَّمتْ كيف تتعامل مع مونيس، ولم تعدْ خائفةً من قدرتها على قراءة الأذهان. إذِ ارتأتْ أنّ مونيسَ ساذجة جداً، وهي أغبى من أنْ تستغلَّ المعارفَ التي تكتسبها عن طريقِ قراءة الأذهان في أيةِ أغراضٍ عملية. كانت المعرفةُ تعذّبُـها فحسب.

أعلنتْ فروخ:

-سوف أغادرُ إلى طهران هذا اليوم، فلقد استأجرتُ بيتاً هناك. أما أنتما.. فيمكنكما البقاءُ هنا إلى أيٍّ وقتٍ تشاءان. سوف أعود إلى هنا في الصيف. أعطي المفتاحَ للبستانيّ عندما تغادرين.

مَهْدَخْت

(مُكرَّر)

كانت مهدخت قد زرعتْ نفسَها على ضفّة النهر في الخريف، وتألَّـمتْ جداً عندما بدأ الصَّلْصال ييبَسُ حول ركبتيها. هبَّتْ عواصفُ مطريّة شديدةُ البرودة في ذلك الفصل، فمزّقتْ ثيابها إرباً إرباً، حتى لم يبقَ عليها غيرُ أسمالٍ مهترئة. كانت ترتجفُ على الدوامِ إلى أنْ جعلَها صقيعُ الشتاء تتجمّد كلّياً، لكنّ عينيها بقيَتا مفتوحتين، تنظرانِ إلى النهر وهو يواصلُ جريانه.

مع أول أمطار الربيع، بدأ الذوبانُ فتكسَّر الجليد إلى شظايا صغيرة، وشعرتْ مهدخت بوخزِ البراعم وهي تعقِدُ على كامل جسدها. واصلتْ أصابعُ قدميها النموَّ متحوَّلةً إلى جذور، وتغلغلتْ في باطن الأرض أعمقَ فأعمق. كانت تسمعُ صوتَ نموِّها، تلك الجذور التي تمتصُّ المواد الغذائية من الأرض ثم تنشُرها عبر أعضائها. تستمعُ إلى صوت الجذور، وتشاهدُ ماء النهر وهو ينقلِبُ إلى الأخضر.

عاد الخريفُ مرةً ثانية، مصطحباً البردَ معه. لكنها لم تعد تتألّم، إذ توقّفت الجذور عن النموّ، وكذلك سائر أعضاء جسدها.

في الشتاء الذي تغذّتْ فيه على قطرات الندى، ورغمَ أنّ الصقيع كان يغطّيها، كانت -ما تزال- ترى النهر أخضر، مع مسحةٍ طفيفةٍ من الزُّرقة.

في الربيع اكتستْ بالبراعم من جديد. كانت مسرورةً بقدوم الربيع فامتلأ قلبُها بالسعادة، السعادة التي نقلتْها إلى البراعم العاقِدَة؛ فتفتّحتْ وأنبتَتْ أوراقاً خضراء.

عندما عاد الصيفُ، صارت ترى ماءَ النهر أزرق، وترى أسراباً من السمكِ تسبحُ فيه.

عاد البردُ القارسُ مع الخريف، وأظلمَتِ السماء. لكنّ قلبها ما زال مُفعماً بالفَرَح، فقد تناغمَ مع روحِ الشجرة، تلك الروح التي تتّسع لكلّ المحبّة على وجه الأرض.

في منتصف الشتاء، رضعتْ من حليبِ ثديٍ بشريّ، وهذا ما أعطاها طاقةً هدّارةً على وشك الانفجار، أذابتِ الثلج الذي كان يكسُوها قبل حلُول الربيع. لكنها جعلتْها تتألّمُ من كلّ مَوضع، وهي تكابدُ أنْ تحبسَ هذي الطاقة داخلَ جسمها. الآن وهي تحدّق في النهر؛ لم تعُدْ تراهُ كتيارٍ مائيٍّ متواصل، بل كمزيجٍ من القطرات المتدفّقة بسرعةٍ وعشوائيةٍ نحو قاع النهر، في أعدادٍ لا تُحصى. وهذا ما فاقَم من أوجاعها، لأنّ أحاسيسَها تسرَّبتْ منها إلى القطراتِ الصغيرةِ المتدافعةِ في مجرى النهر، وجعلتْها تنبضُ بتناغُمٍ مع كلّ دقّةِ قلبٍ لكلِّ قطرةٍ منها.

كانت قد أُطعمتْ حليباً بشرياً لمدة ثلاثة أشهر، ومع اقترابَ

نيسان وصلَ الضغطُ الذي في داخلها إلى حدّ الانفجار، فانفجرتْ فجأةً وبشكلٍ عنيف. ومعَ أنه كان انفجاراً حقيقياً؛ إلّا أنه لم يكن لَحْظيّاً بل متبايناً وعلى مراحل عدّة. كان الأمرُ كما لو أنَّ أنسجتها ترتَجُّ من الداخل ثم تتفكّكُ عن بعضِها ببطءٍ. في هذا التحوُّل الأبديّ، كانت مهدختُ تنسلخُ عن ذاتها، وتكابدُ أوجاعاً عظيمة، آلاماً لا تُحتَمَلُ مثلَ تقلُّصاتِ الرَّحمِ عند الولادة، فكادتْ عيناها تنقذفانِ بقوّةٍ من محجريهما. لم يعُدِ الماءُ كتلةً من القَطَراتِ الصغيرةِ بعد الآن، إذ تكسَّر إلى قِطَعٍ صغيرةٍ لا حصرَ لها من ذرّاتِ الأثير.[16]

كلُّ شيءٍ يصلُ إلى نهايته فجأةً. صارتِ الشجرةُ الآن جبلاً من البذور، ثم هبَّتْ رياحٌ عاتيةٌ بعثرتْهُ في النهر، وسافرتِ البذورُ مع الماء إلى كافة أنحاء العالم.

فايزة

(مُكرّر)

في الخريف، كان جوُّ المدينة معتدلاً وهواؤها عليلاً، وكان من الممتع أن يذهب المرءُ في نزهةٍ عبر الشوارع قبل الظهر. وفي حوالي

16. اسم لنوع من المركبَات العضوية يتكوّن من ذرّة أوكسجين متّصلة بمجموعتي ألكيل (كربون + هيدروجين). ويتميّز الإيثر بسُرعة الاشتعال الذاتي وشدّته، ونسبة التطايُر العالية. [المترجم]

الساعة الحادية عشر من كلّ صباح تقريباً، كانت فايزة تلتقي بأمير خان ويذهبان معاً في جولة سيراً على الأقدام. كانت تستقلُّ الحافلة من كَرَج إلى ميدان آزادي في وسط العاصمة، ويكون أمير بانتظارها هناك. كان -في الغالب- يشكو إليها زوجتَه ويتذمَّرُ منها، وكانت فايزة تُصغي إليه بصبر. كانت الزوجةُ وَسِخَة الجسم والـمَلبَس، ولا تُجيد الطبخ، كما أنها لا تحسنُ الاعتناءَ بطفلهما الوحيد. تعاطفت فايزة معه وحاولتْ أن تُسدي إليه ببعض النصائح المفيدة.

بعد شهر من اللقاءات الغرامية، نزلتْ بأمير خان عقوبةٌ من الشركة التي يعمل لديها بسبب الغياب المتكرّر. كان ذلك بمثابة مصيبة حلّتْ عليه، فصار يتوجّبُ عليه أن يُغيّر موعد اللقاءات إلى الساعة الخامسة بعد الظهر. وهكذا صارت فايزة تصلُ من كَرَج عند المساء لكي تلتقي مع أمير خان، وكانا يتجوّلان معاً في الشوارع المحيطة بميدان آزادي ويتحادثان، وفي بعض الأحيان يذهبان إلى السينما أو لتناول العشاء في أحد المطاعم. بعد فترة، بات من الواضح أنّ ما يقومان به قد صار روتينياً ومُملاً، بالإضافة إلى أنهما قد تحدَّثا في كل المواضيع التي يمكن أنْ يتحدّثا فيها.

قال لها أمير خان ذات يوم:

- لا أعرفُ كيف أُفاتحكِ بالموضوع، ليس أمراً جيّداً أنْ تقطعي المسافة من كَرَج إلى هنا، ثم تعودي إلى هناك كل يوم. أنا خائفٌ من أنْ يحدثَ لكِ أمرٌ ما، لا ينبغي للمرأة أن تسافر وحدها في ساعةٍ متأخرة من الليل.

- ماذا علينا أن نفعل؟

- لماذا لا تعودين إلى هنا وتعيشين في طهران؟

- أين؟ في بيت مَنْ؟

- عودي إلى جدّتك.

- وما الذي يجعلكَ تظنُّ بأنها ستُعيدني؟ إنها لا تفهمُ نمط حياتنا، سوف تحسبُ أنّ أمراً سيئاً قد حصل لي، وهكذا ستصبح مُتـزمّتةً معي أكثرَ من قبل.

فكّر أمير خان لدقيقة، ثم قال:

- ربّما من الأفضل أنْ أستأجر لكِ غرفة.

اعترضتْ فايزة باستحياء:

- عيبٌ عليك! ما الذي يجعلك تفكّر أنني من ذاك النوع من الفتيات؟

اقترحَ أمير خان:

- ما رأيكِ أنْ نتزوّج... زواج متعة؟ فهذا على الأقلّ يُحدّدُ شكلَ علاقتنا.

كانت فايزة تنفُر من هذا المصطلح، ولا ترغب بأنْ يُسمّيـها أحدٌ «زوجة متعة»، لكنها لم تقلْ شيئاً.

ذهَبَا معاً إلى كاتب العدل ذات يوم. قالَ أمينُ السجل:

- إننا لا نشتغلُ بزواج المتعة، نحن نعقدُ الزيجاتِ الدائمة فقط.

عندئذٍ؛ قاما بالإجراءاتِ الشكْليّة وسجَّلا زواجَهما؛ مع الاتفاق بألّا يكون هنالك إشهارٌ للزواج حتى يقوم أمير خان بتهيئةِ زوجتهِ للتفريق. بعد ذلك، أمضَيا تلك الليلة في أحدِ الفنادق.

في الصباح التالي استيقظَ أمير خان بمزاجٍ مكتئب، راحَ يجوبُ في أرجاء الغرفة وكأنه يبحثُ عن شيءٍ ما. فايزة- من جهتها- تجاهلتْه وهو يقفُ أمام النافذة وينظر إلى الشارع. كان يحسُّ بأن حياته صارتْ كارثيّة، وأنه لا يجدُ أحداً يشكو إليه .

كسَرتْ فايزة الصمت:

-يجب علينا أن نبحثَ عن شقة صغيرة.

نبحَ أمير خان:

-انتظري لحظة! سوف آخذُكِ معي إلى بيتي .

-على جثّتي! ما الذي يجعلُكَ تظنُّ بأنني سأذهبُ وأعيشُ تحت سقفٍ واحدٍ مع زوجتك الأخرى؟ هذا مستحيل!

شرعتْ فايزة بالبحث عن مكانٍ لتعيش فيه، وعثرتْ سريعاً على شقّةً في شارع سلسبيل. بينما بحثَ أمير خان عن عمل جديد، ووجدَ وظيفةً في إحدى الشركات التجارية، وذلك لكي يؤمّن مصاريفَ البيتين، فهو ما زال يأملُ بأن تُعرّفه فايزة على السيد عطر شان.

وهكذا سارتْ حياةُ كلٍّ منهما، لم تكنْ مثالية، ولم تكن رديئة أيضاً.

مونيس

(مُكرّر)

بقيت مونيس في البستان لتساعد البستاني مدة ثلاثة أشهر، كانا يغذّيان الشجرة يداً بيَدٍ من حليب ثديي زارين كولاه. في منتصف الربيع، كانت الشجرة موشَّاةً بتشكيلةٍ رائعةٍ من أزهارٍ في أوج تفتُّحها. وذات صباح، وجدوا أن الشجرة قد تحوّلتْ إلى تلّةٍ هائلة من البُذُور. ثم هبّتْ رياحٌ عاتية وبعثرت البذور في النهر.

خاطبها البستاني بنبرة جادة:

-مونيس، لقد حان الوقت لكي تصبحي إنساناً.

-لكنني أريد أن أتحوّل إلى نورٍ خالص. كيف يمكنني أن أصبح نوراً؟

-في اليوم الذي تدركين فيه كُنْه الظلام، هذا ما يجب عليك فهمه، هذا هو المبدأ. لا تحاولي أن تصيري نوراً فهذه رحلةٌ من غير رجعة. انظري إلى صديقتنا المشتركة؛ لقد أرادتْ أن تصبح شجرةً وها قد حقّقتْ مبتغاها. كانت تظنّ الأمرَ صعباً، لكنه لم يكن كذلك. من المحزن أنها لم تستطعْ أنْ تكون من الجنس البشري. الآن وبعدما صارت بذوراً؛ فسوف تُعيد الرحلة نحو البشريّ منذ البداية، وهي رحلةٌ قد تستغرق عصوراً. أنصحكِ الآن بأن تذهبي للبحث عن الظلام من جديد، انحدري إلى الأعماق، إلى أعماق الأعماق، وهناك سوف تَرَين النُّور متوهّجاً بين يديك ومن حولك. هذا ما يعني أن تكون إنساناً، والآن اذهبي وصيري

إنساناً.

في اللحظة ذاتها، تحوَّلتْ مونيس إلى زوبعةٍ صغيرةٍ وصعدتْ إلى السماءِ غيمةً من غُبار. حطَّتْ بعد ذلك في الصحراء، في صحراء أبدية.

سبعُ سنواتٍ مرّتْ، عبرتْ فيها سبعَ صحاري، تعبتْ وشاختْ، ولم يعد لديها أيُّ أملٍ أو رؤية. لكنها اكتنزتْ بالخبرات، وهذا كلّ شيء.

عادت إلى المدينة بعد سبع سنوات، استحمّتْ وارتدتْ ملابس نظيفة، وأصبحت -بكلّ بساطة- معلّمة مدرسة.

السيّدة فرّوخ صدر الدين غُلْ شَهْرَهْ
(مكرّر)

أمضتْ فرّوخ فصل الشتاء في البيت الذي استأجرته في المدينة، وكان رسّامُ البورتريه يقضي معظم وقته في ذاك البيت أيضاً. كان شاباً في الخامسة والعشرين مُفعماً بالأحلام والطموحاتِ الفنية، وكان يُحدّث فروخ عن كل ذلك. وأخيراً؛ أُقيمَ المعرضُ الفني لبورتريه فرّوخ والرسُومات التحضيرية الأُخرى، فاجتمعَ حشدٌ كبيرٌ من الـمُعجبين والمتخصّصين في يوم الافتتاح، وأثنى الجميعُ على ما رأوه من لوحات. لكنّ الحضور تراجعَ بشكلٍ دراماتيكيّ في الأيام التالية،

فأصيبَ الرسّامُ بخيبة أملٍ كبرى.

أمضتْ فرّوخ فصل الشتاء وهي تحاول أنْ تجبُـر خاطِرَهُ المكسور، وتعيد إليهُ تقديرَه لذاته. لكن مع حلُول الربيع كانت قد سَئِمَتْ من نُواحه المتواصل، فأعطته بعضَ المال لكي يذهبَ إلى باريس ويتعلّم هناك عند الأساتذة الكبار.

في غياب الرسّام، شعرتْ فرّوخ بالوحدة والضجر، حتى أنها فكّرت في العودة إلى البستان. لكنها لم تكن تعتقدُ بأنها سوف تحتمل أولئك النسوة من جديد.

جاء السيّد مرّيخي لزيارتها ذات صباح، وهو صديقٌ قديم لفخر الدين آزاد، ومطّلعٌ على سرّ علاقتها الغراميّة معه. كان السيّد مرّيخي يُكنُّ لها كثيراً من الاحترام، بل هو تبجيلٌ في الحقيقة. إذ كان يؤمن أنّ لديها إمكانيّاتٍ مدهشةً في بناء العلاقات الاجتماعية وتطويرها، لكنها -كما يرى- لم تُوضَعْ على السكّة الصحيحة. ولكلّ ذلك؛ عرَضَ عليها الزواجَ ليفتح لها باباً جديداً نحو تحقيق أهدافها، فوافقَتْ .

أحرزَ كلٌّ من الزوجينِ نجاحاً ملحوظاً، فقد دخلَ مرّيخي إلى البرلمان، بينما دخلتْ فرّوخ في مجال الأعمال الخيرية. وهكذا نالَ السيّدُ ميداليّةً تقديريةً على مُجمل خدمته في الدولة، بينما صارتْ هي رئيساً فخرياً لدار الأيتام. وبعد ذلك، تمَّ انتدابُه إلى إحدى البعثات الدبلوماسيّة في أوروبا، فسافرتْ معه.

عاشَ الزوجانِ علاقةً جيّدة إلى حدٍّ ما، لم تكنْ حميميّةً بأية حال،

ولم تكن باردةً كذلك.

زارين كولاه

(مُكرّر)

كانت زارين كولاه قد تزوّجت البستانيَّ اللطيف وحملَتْ منه، ثم أنجبتَ مجدَ الصباح الذي أحبّتْه كما لو أنهُ طفلُها. ترعرعَ مجدُ الصباح على ضفّة النهر وكبُـر.

نادها زوجُها:

-زارين يجبُ أن نذهب في رحلة.

نظّفت زارين الكوخ، وحزمتْ صُرّةً من الثيابِ استعداداً للرحلة. ثمّ قاطعها زوجُها:

-لكننا لا نحتاجُ إلى ثيابٍ في المكان الذي سوف نمضي إليه، اترُكي الصُرّة وراءك.

أطاعتْ كلامه، ثم أخذَتْ بيَده وذهَبَا معاً.

عانَقَ الزوجانِ مجدَ الصباح، فلفَّ فُرُوعَهُ حولَهما، ثم صعدوا جميعاً إلى السماءِ مثلَ نفثةِ دُخان.

*** انتهت ***

ملاحظات المؤلفة

حين كنت فتاةً في الثامنة أو التاسعة من العمر، كنتُ أتسابقُ مع أمّي على قراءة الكتب وإنهائها، فقد كان نشاطنا المفضَّل في أوقات الفراغ. وكان هنالك متجرٌ صغيرٌ لبيع الأغراض المستعملة، يقع في نهاية الشارع الذي كنّا نعيش فيه في طهران، يبيع أشياء زهيدة الثمن وأُخرى مستعملة. مالك المتجر -السيّد روشَن- كان يُصلح الجواربَ النسائية أيضاً، إذ كانت مُنتجاً جديداً وفارهاً وباهظَ الثمن، بحيث يصعبُ على الناس رميها بعد أوّل فتْق (نتحدّث عن أوائل الخمسينات). كانت لدى السيّد روشَن -أيضاً- رفوفٌ من الكتب التي يؤجّرها مقابلَ فِلْسٍ في الليلة، وكنت أذهبُ إليه لأستأجر كتابين، واحد لي والآخر لأمي، وكنّا نبادل الكتابين بعد الانتهاء من قراءتهما.

معظمُ تلك الكتب كانت تأتي من فرنسا، وقد اعتاد الناشرون الإيرانيُّون أنْ يضعوا على أغلفتها؛ صُوراً لممثّلين مأخوذةً من الأفلام المقتبسَة عن هذه الروايات. نسيتُ أسماء الممثّلين، لكن جمالهم وملابسهم الفاخرة تركَا أثراً عميقاً في داخلي.

قرأنا رواياتٍ بوليسيّة أمريكية أيضاً، ولذلك ثمة اسمٌ محفورٌ في ذهني من أيام الطفولة: جاك سميث. لا أستطيع أنْ أتذكّر إذا ما كان جاك سميث رجلَ شرطة، أو محقّقاً، أو ربّما مجرماً. لكن الاسم بقي عالقاً في ذهني بعنادٍ وتصلُّب، لسنواتٍ عديدة قبل أن أسافر إلى الولايات المتحدة، وكنتُ ما إنْ تُذكر أمريكا أمامي، حتى يقفز اسمُ جاك سميث فوراً إلى ذهني.

كانت أمي في مُقتبل الثلاثين من العمر حينذاك. وقبل فترة وجيزة، أمرَتْ أخويَّ شَهْرام وشهريار بأنْ يُقبّلا يدَها كلَّ صباح، ويُلقيا التحيّة عليها بالشكل التالي: «صباح الخير يا عزيزتي الأميرة». كانت أمّي من سلالة قاجار[17]، مُنحدرةً من العائلة المالكة لتلك المقاطعة. لكن الجانب المحزن والمضحك في حياتنا في ذلك الوقت، هو أننا كنّا نعيش معاً في غرفة واحدة في بيت جدتي العتيق. كنا فقراء جداً وكان طعامنا يتكون من الخبز والحليب لمدةٍ تقارب السنة، كان هذا الطعام أقلَّ مما نحتاج بكثير، وخصوصاً بالنسبة إلى شهرام الذي كان يتعافى من مرض التيفوئيد.

كان أبي قد استقال من عمله كقاضٍ في وزارة العدل، وتركنا في فقرٍ مدقع، وسافر إلى جنوب البلاد على أمل أن يجرّب حظّه في مهنة المحاماة. وبما أنّ أمي لم يكن لديها المالُ اللازم للصداقات والعلاقات

(17). القاجار: سلالة من الشاهات حكمت بلاد فارس من عام 1779 وحتى 1925، كان آخر ملوكها الشاه أحمد ميرزا الذي حكم بين عامي 1909 و1925، وبسبب اتّساع الاضطرابات في عهده، ومع ازدياد النفوذ البريطاني في البلاد، قام رئيس الوزراء رضا خان بهلوي بخلعه ثم اتخذَ لنفسِه لقبَ شاه. [المترجم]

الاجتماعية، فكانت تشغلُ نفسَها بقراءة رواياتِ الفرسانِ الفرنسية وقصص الجريمة الأمريكية. كانت سعيدةً بالطبع حينما نُقبّل يدها ونناديها بـ «عزيزتي الأميرة». لكن ذلك لم يدُمْ لوقت طويل، إذ التزمنا بـأوامرها لمدة أسبوع فقط، ثم جعلَنا ذلك موضوعاً للهزل، إلى أنْ توقفنا عنه.

كانت أمي امرأةً مُنطلقة وذاتَ أسلوبٍ خاصّ، فبَعد سنواتٍ من ذلك نادتْ أخي شهريار وطلبتْ منه: «تعالَ وسجِّلْ صوتي، وعندما أموتُ ويأتي الناس إلى الجنازة، تُشغِّل لهم شريطَ التسجيل بعد الانتهاء من الصلاة. أريدُ أنْ أشكرَ كلَّ شخص قد يأتي ويتكرّم عليَّ بحضور مراسم دفني».

أجاب شهريار:« لكن يا أيتها الأميرة؛ سوف يرتعبُ الناسُ إلى درجة الموت لو فعلتِ ذلك».

كانت أمي غالباً ما تقول: « لو كنتُ مكان السيدة فخر الدولة، لكنتُ أحسنتُ التصرّف بأموالي!». كانت السيدة فخر الدولة امرأةً ثريّة وأيضاً من قاجار، وكانت تقوم بأعمال اجتماعيةٍ وخيريةٍ بالغة الأهمية، من بينها بناء مشفى للفقراء.

وهكذا فقد عرفتُ كثيراً من الأشياء عن أمي، الأوّل أنها تحبُّ أنْ تجلس على السرير كما لو أنه عرش، والثاني هو أنها شخصٌ كثيرُ التخيُّل وواسعُ الخيال، وكانت دائماً تعتبرُ نفسَها شخصاً بالغ الأهمية أثناء أحلام يقظتها. الثالث هو أنها تحبُّ الأدب وتقرأ الكثير من الكتب، رغمَ أنها صارت عاجزةً عن كتابة الشعر منذ أن تُوفّيتْ أمُّها

وأختها. أخيراً وليس آخراً، كانت تحبُّ رجُلاً آخرَ غير أبي. كانت تقول لي في كل يوم تقريباً: « كنتُ بالتأكيد سأُطلِّقُ والدك، لولا وجودُكِ معي».

كان هذا الكلام يُسبّب لي ألماً نفسيّاً عظيماً، فقد عانيتُ من الخجل لعدّة سنوات، وفكّرتُ أنني كنتُ قد أسديتُ معروفاً لأمي لو لم أكنْ موجودة. هذه المشاعرُ دفعتني لأنْ أحاولَ الهربَ من عائلتي الأرستقراطية عندما أصبحتُ أكبر، ولذلك فقد صرتُ يساريّة. رغمَ ما سبق، حين بدأتُ بكتابة «**نساء بلا رجال**»، كانت صفاتُ أمي الشخصية تتشابكُ تدريجياً لتشكّلَ الشخصية التي سميّتُها «فرّوخ». هذه الشخصية -في الحقيقة- مبنيّةٌ على واحدةٍ من بناتِ عمّي إلى جانب أمي. ابنة عمي كانت امرأة جميلة أيضاً، وقد قرّرت فجأة أنْ تصبحَ شاعرة في السابعة والثلاثين من عمرها. في ذلك الوقت، كانت هنالك موضةٌ دارجةٌ في إيران؛ وهي أن يصبح المرءُ شاعراً. الناسُ دون أيّ معرفةٍ بقواعد الشعر، يُلصقونَ كلماتٍ إلى جانب بعضها بعضاً وكيفما اتّفق، مُستخدمينَ أفكاراً غريبة، ومُعتقدَين أنهم -بذلك- يُبدِعون الشِّعر. فمن ذلك على سبيل المثال:

«رغبةُ الضوءِ تسري في الأسلاك الكهربائية»، أو:

«الصراخُ القادمُ إلى سطحِ الوجود كان بنفسجيَّ اللون»، أو:

«حُمرةُ الأرضِ أخبرتْ زُرقة الحضُور: لا أحبُّ القدر!»، وهلمَّ جرّا.

بعضُ أولئك الشعراء كانوا مُثيرين للاهتمام، لكنهم سُرعانَ ما

أصبحوا سخيفين. ولكي يتستّروا على جهلِهم وأُميَّتهم؛ صارَ بعضُ الشعراء يُنادون بأنّ القواعدَ التي تميّـزُ الشِّعر عن سِواه؛ هي مجرّدُ هُراء! ويجبُ رميُـها بالكامل.

وسْطَ هذه الرغبة في رمي العقل وكُلِّ ما هو قديمٌ جانباً، تدفّق ملايينُ الناس إلى الشوارع، يُريدون طردَ الشاه دون أيّ فهمٍ أو تصوُّرٍ لما قد يحدثُ بعد ذلك. فانقلبت الحكومةُ الجديدةُ عليهم وعلى أحبّائهم، مُعدِمةً مئاتِ الآلافِ منهم، بمَن فيهم أولئك المراهقون الذين أرادوا تشكيلَ حكومة جديدة.[18]

على أيّ حال، كانت ابنة عمي واحدةً من أولئك الذين قرّروا أن يصيروا شعراء. لكنها توقفتْ بعد سنواتٍ بسبب معاناتها من ضيقٍ حادّ في التنفُّس، وهذا ما تطوّر بالتدريج وأدّى إلى وفاتها. وهكذا حبكتُ شخصيّة أمي وابنة عمي معاً من أجل تكوين شخصيّة «فروخ».

العديد من شخصيّات هذه الرواية؛ استوحيتُها من أشخاصٍ عرفتُهم من قبل، ومنها الشخصية التي سمّيتها «زارين كولاه» (القُلُنْسوة الذهبية). ذات يوم، ذهبتُ إلى سوق الخضار بمَهمّة أناطتْـها بي جدّتي، وهناك صادفتُ امرأةً شديدة الجمال، طويلة ونحيلة، تضعُ على شفتيها أحمرَ شفاهٍ برّاق. لاحظتُ ابتسامةً غريبة على وجهها، فقد كانت تحمل بطّيخة حمراء بين يديها، وترمُقُ ضابطَ

---

(18).تقصد انقلاب الجنرال فضل الله زاهدي على حكومة رئيس الوزراء محمّد مُصدَّق في آب/أغسطس 1953. [م]

شُرطةٍ بنظرةٍ فتّانةٍ تنبعثُ من عينيها. كانت نظرةً لم أرَ مثلَها في حياتي، على الرغم من أن بيتنا كان قريباً من «ماخور طهران الرسمي». [19]

كان لحضُور تلك المرأة مع ابتسامتها الساحرة؛ أنْ ألهمَني ابتكارَ شخصيّة زارين كولاه. وبعد سنوات وسنوات، وحينما كنتُ مسجونةً على يدِ زُعماء الجمهورية الإسلامية، مسجونةً بسبب كتابة هذه الرواية، كنتُ أتمشّى في ساحة السجن مع بائعة هوى. كانت المرأةُ عجوزاً ويائسةً ومُستقيلةً من المهنة، وكان اعتقالُها بسبب شُرب الكحول. وبما أنَّ أحداً لم يكن يزورها في السجن، ولأنّ طعام السجن سيـئٌ للغاية، فكنتُ أقتسمُ معها الطعام الذي أشتريه من محلّ البيع في السجن.

في ذلك اليوم حين كنّا في ساحة السجن، حكتْ لي بأنها قد أُجبـرَتْ على العمل في الدعارة منذ أنْ كانت في العاشرة من عمرها. ثمَّ وبينما كانت تسيرُ مُبتعدةً عني؛ التفتتْ إليّ فجأةً وابتسمتْ، عرفتُ فوراً أنها الابتسامةُ ذاتُها، تلك الابتسامةُ التي انزرعتْ في ذاكرتي مُذْ كنتُ طفلة. وهكذا فقد صارتْ عاهرتي الآن عجوزاً، ومُدمنةً، ووحيدةً للغاية.

إحدى عمّاتي.. وَهَبُوها وهي في الرابعة عشرة من عمرها إلى رجُلٍ في الخمسين، وفقاً لعادة زواج العائلات المُدبَّر. كانت قد أنجبتْ طفلين، وبعد أنْ ماتَ ابنها في سنٍّ مبكرة، أدركتْ أنها لن تستطيع

(19). كانت بيوت الدعارة مرخّصة في إيران قبل قيام الثورة الإسلامية عام 1979، وصدور قوانين المنع والحظر عام 1982. وهكذا اختفت المواخيرُ في العلَن، وانتشرتْ في السرّ بأعدادٍ تبلغُ ضعفَ ما كانت عليه قبل المنع والحظر. [م]

العيش مع زوجها أكثرَ من ذلك، فتطلَّقتْ منه. بعد ذلك تعلّمت الضَّرْبَ على الآلة الكاتبة، ثم توظّفتْ في مكتب حكوميّ. بالرغم من أنها استطاعت الوقوفَ على قدميها؛ إلا أنها كانت وحيدةً جداً. تعيشُ في المجتمع الإيرانيّ الـمُتديّن والمحافظ إلى درجةٍ قاسيةٍ جداً في تلك الأيام، فلم يكن مسموحاً أنْ يكون لديها حبيبٌ مثلاً. ولذلك صارتْ درويشاً، وانضمَّتْ إلى إحدى حلقات الدراويش الصوفيّة. هي أيضاً حاولتْ أن تكتب قصصاً وقصائد، ولم أسمعها تتكلّمُ بالسوء عن رجلٍ أو تغتابُ امرأةً ولا مرّةً حياتي، وكانت تهِبُ ابتسامتَـها كصَدَقةٍ جاريةٍ لجميع مَن تُصادفُهم من الفقراء. لقد مزجتُ شخصيَّتها مع أجزاءٍ من شخصيّتي وكوّنتُ «مونيس».

تلك العمة، كانت لديها ابنةٌ خجول بشكلٍ فظيع، لم أرَ شخصاً مثلها في حياتي. كان لديها صوتٌ رائق وجميل، لكنها كانت مُتديِّنة وترفض الغناء. ثم عانتْ من فقدان الشهيّة في السنوات الأخيرة من حياتها، وعندما أنزلوها إلى القبر، كان وزنُها أقلَّ من ستين رطلاً. شخصيّةُ "مهدَخْت" مستوحاةٌ منها.

واحدة أخرى من بنات عمي، كانت فتاة طيبة ثم انقلبت فجأة إلى شخص سيّـئ. كانت تعتقد من كلّ عقلها أنني حمقاء، فقط لأنّ وجهي مُدوَّر. لقد كانت على حقّ في كل حال، فلطالما كانت تستغلُّني في أغلب الأوقات، وكنتُ أُخدَع بها في كل مرّة. كانت تقولُ عن امرأةٍ معيّنةٍ بأنها سوف تهجمُ عليّ فوراً إذا ما رأتني، وهكذا حين تأكّدتْ بأنني سأتجنّبُ تلك المرأة على الدوام؛ أخبرتها أنني قد ذهبتُ إلى زوجها ووَشَيتُ بها... بأنْ لديها علاقاتِ حبٍّ سريّة مع رجالٍ

آخرين. شخصية «فايزة» في الرواية لا تتطابقُ مع ابنة عمي تماماً، بما أنّ «فايزة» كانت عاشقة من أعماق قلبها، أما ابنة عمي فلم تحبَّ أحداً في حياتها. لكنها كانت حاضرةً في ذهني -دوماً- أثناء رسمُ شخصيّة «فايزة».

حينما كنتُ في الرابعة عشرة من عمري، حسّاسة جداً مثل أغلب المراهقين، ذهبتُ إلى "كَرَج" مع بعض من أقربائي. كنتُ قد عشتُ في طهران طُولَ حياتي، ولا أعرفُ شيئاً عن حياة الريف. كانت كَرَج مُنتجعاً للاصطياف وأيام العُطَل قريباً من طهران، وكان في البلدة شارعان أو ثلاثة؛ محاطةٌ بالمزارع والبساتين والقرى المتناثرة. يومَها ذهبنا إلى بستانٍ تملكه عائلةٌ غنية، وكان الوقتُ ليلاً حينما كنتُ مستلقيةً على سرير في وسط البستان، أتأمَّلُ البدرَ الـمُكتمل في قبّة السماء. كنتُ مُحاطَةً بعددٍ من الأشجار التي تتسَامقُ قاماتُها نحو السماء، وكان الجوُّ لطيفاً وشبيهاً بالجوّ الذي سوف أُعايشُهُ في شمال كاليفورنيا بعد سنواتٍ من تلك الليلة، وبعدما أُجبرتُ على مغادرة إيران. تلك الطريقةُ التي كانت الأشجارُ مُنتظمةً فيها، والتي جعلتْها تبدو منفصلةً عن الأرض وعن السماء في الوقت ذاته؛ أعطتْني الانطباعَ بأنني أنامُ على ديكورٍ مسرحيّ. كان الناسُ يثرثرونَ من حولي ولكنني لم أستطع سماعهم، إذ كنتُ مشغولة البالِ والنفسِ بهذا الجمال الذي يحاصرني من كلّ الجوانب. ولهذا السبب، وبعد سنواتٍ مضتْ، جعلتُ نساءِ الرواية كلهنّ، ومعهنّ البستانيّ اللطيف، يذهبون إلى "كَرَج". أما اليوم فقد توسَّعتْ كَرَج لتصبح مدينةً ضخمة مرعبة، وما عدتُ أعرفُ إذا ما زالت تلك البساتينُ الجميلةُ

موجودةً أم لا.

جميعُ الأشخاص الذين أَوحَوا إليّ بالشخصيّات التي رسمتُها في الرواية؛ باتوا اليوم في عداد الموتى. بشكلٍ عام، حين أفكّرُ بالأشخاص الذين عرفتُهم في حياتي، أجدُ أنّ عددَ الأمواتِ منهم أكبرُ بكثيرٍ من عدد الأحياء. أتمنّى ألّا يتأذّى أحدٌ من هؤلاء الأشخاص الذين وصفتُهم في آخرته، إنْ كان شيءٌ كهذا موجُوداً.

أخيراً وليس آخراً، لا شكَّ أنّ «نساء بلا رجال»؛ تنتمي اليومَ إلى شِيرين نِشَاط بقدْرِ ما تنتمي إليّ.

شَهْرْنُوش بارسِيْبُور

رِيشموند – كاليفورنيا

ملاحظاتُ المترجم

شهرنوش بارسيبور:

ولدت شَهْرْنُوش بارسِيبُور في طهران عام 1946، وبدأت مسيرتها الأدبية في السادسة عشرة من عمرها بكتابة القصص القصيرة والمقالات. ثم تخرّجت في جامعة طهران قسم علم الاجتماع.

عندما كانت في الثامنة والعشرين، كتبتْ روايتها الأولى «الكلب والشتاء والطويل»، وقد تُرجِمتْ إلى اللغة الروسيّة. في السنة ذاتها، كانت تعمل كمنتجةٍ لبرنامج اجتماعيّ أسبوعيّ يُعرَض على التلفزيون الوطني الإيراني. لكنها استقالتْ من العمل احتجاجاً على التعذيب الوحشي ثم الإعدام اللذين تعرّضَ لهما اثنانِ من زملائها الصحافيّين والناشطين؛ على يد البوليس السرّي «السافاك». ولهذا السببِ فقد اعتُقلتْ لبضعة أشهر، ثم سافرت إلى فرنسا لكي تدرس اللغة والفلسفة الصينيّتين.

بسبب توتّر العلاقات الذي نشبَ كنتيجةٍ لقيام الثورة في إيران عام 1979، لم تستطعْ شهرنوس أنْ تكمل دراستها في فرنسا، فاضطُرَّت إلى العودة إلى إيران، لتجدَ نفسَها معتقلةً سياسيّة من جديد؛ على يد قادة الجمهورية الإسلامية هذه المرة، ولمدة أربع

سنواتٍ وسبعة أشهر. وحينما خرجت من السجن، نشرتْ رواية «طُوبى ومعنى الليل» التي حقّقتْ لها شهرةً واسعةً بين القُرّاء في إيران، فتُرجِمتْ إلى الإنكليزية والألمانية والإيطالية.

وبسبب تطرُّقها لموضوع العُذريّة في رواية «نساء بلا رجال»؛ انتهى بها الأمرُ في السجن للمرة الثالثة، وصُودِرَتْ الروايةُ من المكتبات ومُنِعَت في إيران. رغم ذلك فقد تُرجمتْ إلى عديدٍ اللغات، من بينها الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية والألمانية.

في عام 1992، حصلتْ شهرنوش على منحة كاتبٍ زائر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ثم عادت إلى إيران لتجدَ أن كتبها قد صُودِرَتْ كلّها، وأنها باتتْ ممنوعةً من الكتابة والنشر في بلدها. ولذلك قرّرت العودة إلى الولايات المتحدة، وهناك نشرتْ روايةً فلسفيّة بعنوان «الحكمة الزرقاء»، ثم كتاب «مذكّرات السجن».

تابعتْ شهرنوش مشوارها الأدبي فنشرت رواية «شيفا»، وهي أول رواية خيال علمي في الأدب الفارسي، ثم رواية «على أجنحة الريح». في عام 2003 حصلت على منحة زمالة من جامعة براون (Brown University) لمدة سنة، وشاركت في العديد من الأنشطة السياسيّة للمعارضة الإيرانية في الولايات المتحدة.

في عام 2006، ألقتْ سلسلةً من المحاضرات عن الأدب الإيراني في جامعة واشنطن. ثم انتقلت إلى جامعة شمال كاليفورنيا- قسم الدراسات الإيرانية، وألقت محاضرات عن الكتابة الإبداعيّة لمدة أربع سنوات.

في عام 2010، حصلت شَهْرْنُوش بارسِيبُور على دكتوراه فخرية من جامعة براون، كما حصلت على جائزة «بريميو فيرونيا» (Premio Feronia) الأدبية في روما- إيطاليا.

قائمة أعمالها الإبداعيّة:

-«الكُرة الحمراء»، 1969، قصص للأطفال.

- «قلادة الكريستال»، 1974، قصص قصيرة .

- «الكلب والشتاء الطويل»، 1974، رواية.

- «عُرُوض المحاكمة»، 1975، رواية.

- «طوبى ومعنى الليل»، 1989، رواية.

- «نساء بلا رجال»، 1990، رواية .

- «حفلةُ شايٍ في حضرة الذئب»، 1993، قصص قصيرة.

- «رجال من ثقافات متنوّعة»، 1993، نوفيلا.

- «الحكمة الزرقاء»، 1994، رواية.

- «مذكّرات السجن»، 1996، مذكّرات.

- «مغامرات روح الشجرة»، 1999، رواية.

- «على أجنحة الرياح»، 2002، رواية.

- «آسيا بين عالَـمين»، 2009، رواية.

الخلفيّة التاريخيّة للرواية

في يوم 11 يناير/ كانون الثاني 1951، قدّم النائب في البرلمان الإيرانيّ وقائد الجبهة الوطنية د. مُحمَّد مُصدَّق (1882-1967) مشروعاً لتأميم صناعة النفط، وبالأخصّ شركة النفط الأنجلو-الإيرانية (British Petroleum) التي كانت أكبر استثمارات بريطانيا في الخارج.

لقي المشروع تأييداً شبه إجماعي من البرلمان، ومساندةً كبيرة من الشعب، مما ساهم في زيادة شعبية مصدَّق؛ فانتخبه البرلمانُ رئيساً للوزراء في 28 نيسان/ أبريل 1951.

أجرى مصدّق -خلال عامين في منصب رئيس الوزراء- سلسلةً من الإصلاحات الموسَّعة في مختلف القطاعات، ما يصحُّ تسميتُه ثورةً وطنية اشتراكية، حيث ألغى الامتياز لشركة النفط البريطانية الإيرانية وصادر أموالها، وحسَّنَ شُرُوط الشُّغل للعمّال والفلاحين في المصانع والمزارع، وجعل الدولة تدفع معونات بطالةٍ للعاطلين عن العمل، وحارب الفساد، وأطلق مشروعات التنمية.

بسبب تعارض ما سبقَ مع مصالح بريطانيا والولايات المتحدة في إيران، وخوفهما من المدّ الشيوعيّ هناك، نشبَ الصراع بين أقوى رجُلين في البلاد: الشاه محمد رضا بهلوي ورئيس الوزراء محمّد مصدَّق. حاول الشاهُ إقالة مصدّق من منصب رئيس الوزراء، فخرجتْ الجماهيرُ إلى الشوارع مدافعةً عنه ومطالبةً برحيل الشاه. وكان ذلك في يوم 5 آب/ أغسطس 1953 (اليوم الذي خرجتْ فيه فايزة من بيتها إلى بيت مونيس، أملاً في لقاء أمير خان، فانطلقت

أحداث الرواية).

كانت بريطانيا والولايات المتحدة قد أعدّتا خطّة الانقلاب العسكريّ على حكومة مصدَّق مُسبّقاً، وبدأت الخطوة الأولى بمحاولة اعتقال مُصدَّق في ليلة 15 آب/ أغسطس، لكنّ المحاولة باءت بالفشل، فهرب الشاهُ من البلاد. لكنّ خطوات الانقلاب الأُخرى تتابعتْ، ومن بينها شراءُ ذمم "البلطجية" وبعض الزعامات القبلية والجماعات الدينية المتشدّدة، واستخدامهم في ضرب المتظاهرين المؤيّدين لحكومة مصدّق. ثم حدث الانقلابُ في يوم 19 آب/ أغسطس 1953، حين قاد الجنرال فضل الله زاهدي -وزير الداخلية في حكومة مصدَّق- قوةً عسكرية قصفتْ منزل رئيس الوزراء محمّد مصدّق في وسط العاصمة طهران، ومن ثم اعتقلته.

كوفئ الجنرال زاهدي بتعيينه رئيساً للوزراء لمدة سنتين، ريثما تمكّن الشاهُ من إحكام قبضته على سلطات البلاد ومفاصلها من جديد. بينما حُوكم مصدَّق بتُهمة الخيانة، وحُكم عليه بالإعدام، ثم خُفّفت العقوبة إلى السجن لمدة ثلاث سنوات والإقامة الجبرية مدى الحياة.

كان من نتائج هذا الانقلاب أنْ عاد الشاهُ حاكماً فرداً مُطلَق الصلاحيات لمدة تقارب 24 سنة، قام خلالها بالقضاء على ثمار ثورة مُصدَّق الوطنية الاشتراكية، فقمعَ الحريّات وألغى الحياة السياسية، وأعاد تنظيم أجهزة القمع وتدريبها بمساعدة من الولايات المتحدة.

ملاحظات حول المكان والزمان والشخصيّات:

نميّز في «نساء بلا رجال» بين مكانين متباينين من حيث الطبيعة والخصائص، لكلٍّ منهما زمانُهُ المتمايز بطبيعته وخصائصه كذلك. «طهران» حيث العالم التاريخي بقوانينه الواقعية وزمانه الفيزيائي، و«البستان» حيث العالم الطُّوباوي بقوانينه وزمانه الأسطوريَّين. فبينما يكون المكان الأول مسرحاً للصراع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وتتسلسل أحداثه بخطٍّ كرونولوجيٍّ مستقيم. يخضع المكان الثاني لقوانين الأسطورة، وعلى رأسها "التحوُّل" (metamorphosis) الذي يأخذ هنا خصائص البيئة والثقافة الإيرانيّتين، فيصبح أشبَهَ بـ «تناسخ الأرواح» عند الزرادشتيّة وبعضٍ من فِرَقِ المتصوفة والباطنية. أما الزمان فهو أُسطوريّ–طبيعيّ، يسير في خطٍّ دائريّ، ويتجدّدُ كلَّ عامٍ من تلقاء ذاته.

وكما أشارت شيرين نِشاط في المقدمة، يأخذ البستانُ رمزية «جنّة عدن» أو الحياة بعد الموت. لكنه يشبه كذلك المجتمعات النسائية القديمة (الأمازونية)، ويقترب كثيراً من «المجتمعات الفاضلة» (اليوتوبيا) عند الاشتراكيين الطوباويين، من أمثال شارل فورييه وروبرت أوين. ومن خلال ذلك تربطُ الكاتبة ما بين النِّسْوية والاشتراكية ربطاً عضويّاً، وكأنها تريد القول: «لا نِسْوية بلا اشتراكية، ولا اشتراكية بلا نِسْوية». إذ ترى النِّسْوية الاشتراكية أن الصراع بين الرجل والمرأة صراع طبقيّ، فالرجُل هو مالك وسائل الإنتاج والمرأة هي المملوكة والمضطهَدة. ولذلك ينبغي إزالة كافة

الفروق الطبقية وأشكال التمييز في المجتمع، ويجب على المرأة أن تخرج إلى العمل وتشارك في المجال العام وفي ملكيّة وسائل الإنتاج... إلخ.

تبدأ نساء «نساء بلا رجال» رحلاتهنّ نحو التحرُّر من أوضاع اجتماعية عصيبة ومُغلَقة، في اليوم الذي انطلقتْ فيه المظاهراتُ المؤيدة لحكومة مُصدَّق الاشتراكية، والمطالبة برحيل الشاه. لكنّ طريقَ التحرُّر لم يستمرَّ طويلاً، إذ سُرعان ما وقع الانقلابُ وسُدَّتْ الطرقُ من جديد. ولذلك لجأنَ إلى مكانٍ منعزلٍ عن العالم، ليُقمنَ فيه مجتمعاً نسائياً، يضمُّ رجلاً واحداً يحترمُ قوانين هذا المجتمع. لكنّ هذي التجربة لم تستمرّ طويلاً، لتعودَ كلُّ واحدةٍ منهنّ إلى وضعٍ شبيهٍ بوضعها السابق.

سأقدّم تحليلاتٍ انطباعيّة لسَيْرُورَات التحرُّر التي مضتْ فيها كلٌّ من النسوة الخمس، دون أنْ أُصادر على القارئ حريّته الكاملة في تلقّي الرواية وتحليلها، وبناءِ تصوُّراته عنها وآرائه حولها:

مَهْدَخت التي تبدأ قصتُها قبل الأخريات، تمثّل -كما يبدو- المرأة الإيرانية قبل ثورة مُصدَّق. وقد ذكّرتني -على الفور- بحكاية «دافني» و «أبوللو» في الأسطورة الإغريقية، إذ يقعُ «أبوللو» (إلهُ الشعر والفنون) في عشق «دافني» بعدما أصابَهُ سهمٌ من «كيوبيد». لكن «دافني» لم تحبَّه ولم تقبلْ به، وحينما تعجزُ عن الهرب منه بحُكْم قوّته الكبيرة وقدراته الواسعة، تلجأُ إلى أبيها بينيوس (إله النهر) بحثاً عن حلٍّ وخلاص، فيقومُ الأبُ بتحويلها إلى شجرةِ غارٍ على ضفّة

نهر. وهكذا تقول الأسطورةُ إنّ الخلاص الوحيد للمرأة من السُّلطة البطريركية الذكورية -متمثّلةً بـ«أبوللو»-، كان عن طريق التحوُّل/ التَّشَيُّؤ/ الانتحار. وكذلك ترى الكاتبة أنّ الخلاص الوحيد للمرأة الإيرانية من استبدادِ المجتمع الذكوريّ وتسلُّطه، كان بأنْ تتحوّل إلى شيءٍ آخرَ غير المرأة/ أنْ تتشَيّأ/ أنْ تنتحر. لكن الكاتبة حافظت على تقاليد ثقافتها، فمنحتْ تحوُّلاتِ «مهْدَخْت» شكلَ التناسُخ من ناحية، وأضفتْ عليها دلالاتِ الموتِ والبعث التمُّوزيّة الشرق-أوسطيّة من ناحية أخرى.

فايزة: هي المرأة التي علّمها المجتمعُ بأنْ كينونتها لا تتحقّق إلا عندما تكون زوجةً للرجُل، وتابعةً له، فصارتْ تفعلُ كلَّ شيء -بما في ذلك خيانةُ الأصدقاء، وإخفاء جريمة- من أجل تحقيق هذه الغاية. ثم وجدتْ نفسها مصادفةً تحت إمرة مونيس، فتبعتْها على أملِ أن تصلَ معها (بتمرُّدهما) إلى ما لم تستطع الوصول إليه. إنها الشخصية التي تركبُ الثورة من أجل غاياتٍ نفعيّة وشخصيّة، ثم تنسحبُ منها حينما لا تستطيعُ تحقيقها. وفي النهاية عادتْ فايزة بنفسِها إلى وضعها السابق، بل أسوأ مما كانت تتوقّع.

مونيس: وهي الأقرب إلى الأحداث السياسية، فهي تلازم الراديو لسماع الأخبار، ثم تقفز من سطح المنزل لكي تنقذ رجلاً مصاباً في إحدى المظاهرات. كانت ثورةُ مونيس معرفيّةً ضدّ قوقعة الجهل التي وُضِعَت المرأةُ فيها، ثم ضدّ عُنف الأقارب الـمُنصَبّ عليها. وعندما هجرتْها النسوةُ الأُخريات، ووجدتْ نفسها وحيدةً؛ لم تستلم، ولم ترجعْ إلى وضعها الاجتماعي السابق. بل تابعتْ ما بدأتْ به بشكل

فرديّ، وصارتْ معلّمة مدرسة.

فرّوخ: كانت علاقةُ فرّوح مع زوجها أشبَهَ بعلاقة البلادِ مع النظام القديم، فهي قهرية اغتصابيّة. لكن القمع المتواصل لمدة 33 عاماً سبّبَ الانفجارَ في النهاية، فأزاحتْ فرّوح هذه السلطة عن رقبتها بالضربة القاضية. بعد ذلك تنشئ فرّوخ مجتمعها النسويّ المثالي والاشتراكي الطوباوي، ويغدو البستانُ جنّةً حقيقية طالما أنّ هدف فرّوخ الرئيسُ هو كتابةُ الشِّعر. لكنّ تغيُّـر هدفها من الشعر إلى السياسة، غيّر كلَّ شيء في البستان. فهو أولاً جاءَ بالرجال ليأخذوا مواقعَ النساء في العمل، ثم أفسدَ علاقة فرّوخ بالنسوة فهجرتهنّ، ثم هجرتِ البستانَ واتّجهتْ إلى العاصمة بحثاً عن العلاقاتِ النافعة لها. ومن أجل طموحها السياسيّ تزوّجتْ بالسيّد مرّيخي، وتصالحتْ مع السلطة التي ثارتْ عليها ذاتِـها، لكنْ بشروطٍ أحسنَ قليلاً.

زارين كولاه: كانت زارين -بحُكم عملها- خيرَ من يعرف الرجال، ولهذا صارت تراهم بلا رؤوس، مُجرَّدين من العقل والأخلاق والإنسانيّة. لم تكن ثورةُ زارين تمرُّداً على مؤسّسة الزواج أو قيود العائلة أو تقاليد الطبقة الوسطى، بل كانت انضماماً إلى كلّ ذلك، وهروباً من قاع الاستغلال الجنسي الذي فُرِضَ عليها. كانت ترى الرجالَ عُراةً، فتكشفُهم من النظرة الأولى. ولهذا تبعت البستانيَّ اللطيف، لأنها عرفتْ معدنه. وشيئاً فشيئاً، حوّلها العشقُ -الذي حُرِمتْ منه طُولَ حياتها- إلى كائنٍ نورانيّ شفّاف.

لقد خلقتْ شَهْرْنُوش بارسِيْبُور هذا البستان؛ ليكون مسرحاً

لوقائعَ لم يكتب لها أن تحدثُ في طهران الواقعيّة، فظلّتْ غصّةً في ذاكرة الأجيال، وحلُماً يرفرفُ بين أهدابهم الـمُتكسِّرة.

telegram
@soramnqraa

شَهْرْنُوش بارسِيبُور

نساء بلا رجال

«تتبّعُ هذه التحفةُ الأدبيّةُ المعاصرةُ الأقدارَ المتشابكة لخمسِ نساءٍ -من بينهنّ ربّةُ منزلٍ ثريّة وبائعةُ هوى ومعلّمةُ مدرسة- عندما تُفضي دروبهنَّ المختلفة إلى مصيرٍ واحد، فيعشنَ معاً في بستانٍ مهجورٍ يقع في ضواحي طهران. مُستلهمةً خُيُوطَها من التصوُّف الإسلاميّ ومن التاريخ الإيرانيّ الحديث.

The Feminist Press

بدأتْ شَهْرْنُوش بارسِيبُور حياتها المهنيّة كمُنتجةِ برامج في التلفزيون الوطني الإيراني، لكنها سُرعانَ ما وجدتْ نفسَها في السجنِ بسبب مواقفها المعارضة لقمع السُّلطات. تركتْ دراستها في فرنسا لتعود إلى الوطن وتشارك في ثورة عام 1979، فاستقبلَها قادةُ الثورة الإسلامية باعتقالٍ سياسيّ لمدّة أربع سنوات. وما إنْ نشرتْ رواية «نساء بلا رجال» عام 1990، حتى عادت إلى السجن مُجدّداً بتُهمة «التصوير الجريء للحياة الجنسيّة عند النساء»، ثم صُودرتْ الرواية ومُنعت الكاتبةُ من النشر في بلدها. ومَعَ أنّ الرواية ما تزال ممنوعةً في إيران حتى اليوم، إلا أنها باتتْ من أكثرِ الروايات مبيعاً في الخارج، وتُرجمتْ إلى عدّة لغاتٍ عالميّة. أما الكاتبةُ فهاجرتْ إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لتعيش في المنفى حتى اليوم.

الناشر

ISBN 978-977-499-621-4



WWW.PAGE-7.COM

